

## كتاب التوبة

البُيُوتَةُ إِلَى اللَّهِ

وكمفراة الذنوب

الحِجَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ

رواية مختصرة  
عبد اللطيف عانور

## مختار القراء

للطبع والنشر والتوزيع  
٣ شارع القماش بالهرساي - بولاق  
القاهرة. ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٥٥٩١

AL-MOS TAFA.COM

## كلمة المحقق

كثيراً ما أحلوا — بين أمين والحن — إلى مؤلفات « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » فأجد فيها راحة للقلب ، وسكينة للنفس ، وبخاصة ما يتعلق منها بالمنهجيات .

فلقد قرأت فيما قرأت عن التوبة والتائبين :

« أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به :

هل لي من توبة ؟ »

فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عينيه

تدرقان !!

فقال له :

« إن للتوبة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه منكراً موكلاً به لا يملك ، فاعمل ولا تيأس » .

ورأيت « إمامنا الغزالي » يضع التوبة على رأس المنهجيات في كتابه « إحياء علوم الدين » . ويتناول مكفرات الذنوب تناولاً رائداً ويقرئ هذا البحث كتاباً مستغلاً نظراً لأهميته وأثره في عاجل حياتنا وحلها !!

ولست أنفي عليك - أيها القارئ العزيز - أن هذا الكتاب قد شذى ، وملك على جوارب نفسي ، حيث تصدى أبو حامد ، لشرح حقيقة التوبة ، وبيان شروطها ، ومسبباتها ، وعلاقتها ، وغمرها ، والآفات المانعة منها ، والأدوية المسيرة لها لما قد لا نجد مجتمعة في كتاب !

وقلت في نفسي : من منا ليس في حاجة عاجلة إلى مراجعة نفسه ، والإقبال على ربه ، ليترى إليه توبة نصوحاً ؟ ولكن كيف السبيل !!؟ وأين الطريق إلى ذلك الباب المفتوح .. ؟ باب التوبة ، !!؟

وهنا برزت فكرة إخراج هذا الكتاب .. لماذا لا نعيد للفكر ؟ ولِمَ لا نيسره للذكر ؟ لنترى لكل مسلم طريق التوبة حتى يكون مع الذين أنعم الله عليهم ورضى عنهم ورضوا عنه .

وما هوذا بين يديك ؛ فإن وفقنا فمن الله وحسبنا الله ونعم الوكيل ،،،،

عبد اللطيف عاشور

أول شعبان ١٤٠٦ هـ

١٠ من أبريل ١٩٨٦ م



## دراسة التحقيق

- هذا الكتاب !
- المؤلف .
- عصره .
- مؤلفاته .
- حجة الإسلام العراقي مؤلفاً ومحدثاً .
- منهج التحقيق .

## هذا الكتاب

نوع فريد متميز بين غيره من الكتب التي تناولت موضوع التوبة والتائب، فلقد كان مؤلفه حدها، وحقيقتها، ومسببها الذي به تجلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تعرف، وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب، مع ما ورد فيها من قواعد الشرع داخل.

وقد نجد من صنف في هذه لعال كتاباً ولكن المؤلف — وهو أعلم بما صنف — يقول

يمتاز هذا الكتاب عن تلك الكتب بخمسة أمور:

الأول — حل ما عقده، وكشف ما أجهله.

الثاني: ترتيب ما بدأه، ونظم ما فرقاه.

الثالث — إيجاز ما طوله، وضبط ما قرره.

الرابع — حذف ما كرره، وإثبات ما حرره.

الخامس — تحقيق أمور خاصة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً.

ومن أجل هذا كان حرصنا على حسن إعداد هذا الكتاب للنشر وتقديمه لقراءتنا وما هو ذا بين يديك!

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينير لنا طريق التوبة، وأن يحسنه لنا من أمرنا وشأننا.



## المؤلف أبو حامد الغزالي

• ولد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي في قرية «غزالة» من أعمال «طوس» سنة ٤٥٠ هـ ..

• تنقل في طلب العلم بين «طوس» إلى «جرجان» و«نيسابور» حيث لازم إمام الحرمين الجويني، وصار من أخص تلاميذه.

• لقي الوزير «نظام الملك» بعد موت إمام الحرمين فعرف له مكانته، وأثوله نحو منزل، وفوض إليه التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد بعد أن جرى بينه وبين العلماء مجادلات ومناظرات في عدة مجالس استوجبت إعجاب نظم الملك. وكان يحضر درسه نحو ثلاثمائة من كبار العلماء حيث كانت تشد إليه الرجال.

• ثم ترك الدنيا وزينتها وخرج من بغداد سالماً متصوفاً (عام ٤٨٨ هـ)، وبدأ بالبحث ثم دخل الشام وأقام بها زاهداً، ول عزته ببلاد الشام ألف «كتاب الأحياء» ثم انتقل إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ويقول ابن خلكان إنه قصد الركوب منها في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بالأمر «يوسف بن تاشفين» صاحب «مراكش» فبلغه فيه، وعندئذ صرف عزمه عن تلك الناحية، وعاد إلى بغداد ثم خراسان.

• درس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة أخرى، ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب درسه مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية.

• قسم وقته بين العبادة والتدريس ومجالسة المتصوفة إلى أن وافاه الأجل (سنة ٥٠٥ هـ) في مدينة الطبرستان قبة طوس بعد أن ملأ الدنيا علماً وفضلاً وخيراً.



## عصر الإمام الغزالي

(١) هو عصر السلاجقة الذين قاموا «سيرة أهل السنة على الشيعة».

(٢) وهو العصر الذي نشط فيه الفلاسفة.

(٣) كما ازدهر العصر بأصحاب المذاهب الفلسفية المختلفة فلم يكن عجباً ولا غريباً أن يتصدى «حجة الإسلام» الغزالي هؤلاء ولولئك .. بالرد .. والتضيد .. والمناظرة ويعتقها حرباً .. وجهه هجماته وغاراته على جبهات مختلفة كانت وسياته فيها المناظرة والجدل .. تأليف .. والتصنيف ..

مؤلفاته :

لو تصدبنا لعدد مؤلفاته وحصرها لوجدنا أنها تزيد على السبعين مؤلفاً منها ما رأى النور، ومنها ما لا يزال مخطوطة .. من مؤلفاته :

- ١ - تهافت الفلاسفة.
- ٢ - مقاصد الفلاسفة.
- ٣ - عقيدة أهل السنة.
- ٤ - فضائح الباطنية.
- ٥ - فصول الفرق بين الإسلام والزندقة.
- ٦ - تنزيه القرآن عن الطاعن.
- ٧ - الخير المسبوك في تصحيح للشوك.
- ٨ - مكاشفة القلوب.
- ٩ - المنقذ من الضلال.



## حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدداً

نستطيع أن نقسم عمل حجة الإسلام، إنتاجه وتجديده في ناحيتين :  
الأولى : نقده الفلسفة ومناقشته لها ، وحججه لعلم الكلام الذي فقد جدته وحياته .

الثانية : « الحجة » على المجتمع الإسلامي المعاصر ، والدعوة إلى الأخلاق الإسلامية ، والروح ، والتعالي بالخلفاء .

ويمثل الناحية الثانية كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » وقد صنف الغزالي هذا الكتاب ، وقد خرج من بغداد في طلب السعادة واليقين واشتغل بالعبادة والمجاهدة والانقطاع عن الناس . الغزالي إذاد مصلح اجتماعي يخصص جزءاً من كتابه بذيء الغرور يذكر فيه أصناف المقتربين ، ويزرق كل صنف ، ذكر منهم المقتربين من أهل العلم ، ويزرقهم ، والمقتربين من المتصوفة ، والمقتربين من أرباب الأموال ويزرقهم ، وقد ذكر مناقذ الشيطان ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها وذكر من أفكارهم ومزائجهم وعندهم النفسية ما لا يطلع عليها إلا علم كبير من علماء النفس<sup>(١)</sup> .

وقد انتقد العلماء والمشتغلين بالعلم في غلوائهم في الإكثار من الجزئيات الفقهية ، والخلافات ، والكلام ، والجدل ، والتملق في العلوم الآلية : كالنحو واللغة ، والشعر والقريب ، والانهماك به .

(١) أبو الأمل الموحدي - حجة الإسلام الغزالي .

١٠ - ميزان العمل .

١١ - إلهام العوام عن علم الكلام .

١٢ - إحياء علوم الدين .

١٣ - الوسيط في علم الفقه .

١٤ - البسيط في علم الفقه .

١٥ - الوجيز في علم الفقه .

١٦ - الخلاصة في علم الفقه .

إلى غير ذلك من كتبه التي تصدت لحصرها قوائم الكتب والمخطوطات .





وانتقد الصوفية : بالاكفاء بحفظ أقوال المشايخ وأخبارهم ولا حظ أن هذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها .

فأما علم الطب والحساب والصناعات ، وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع ، فلا يعتقد أصحابها أنهم يتلون المغفرة بها من حيث إنها علوم ، فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع .

ولقد ذكر من التباسات الصوفية ومبالغتهم شيئاً كثيراً يدل على إنصافه وتدقيقه .

وقد ذكر عن المغترين من أرباب الأموال طرائف وحقائق تدل على النظر العميق والفهم الديني الصحيح .

وتجمل لنا ذلك من خلال حديثه عن غرور العامة وطوائف من الأغنياء والفقراء ، مما يحول دون « التوبة » ويعد المسلم عن الصراط المستقيم ويمنح للشيطان أن يستحوذ عليهم وينسبهم ذكر الله ، فيصبحوا من حزبه !! وها هو ذا يفتح باب التوبة لكل هؤلاء وأولئك ليكونوا جميعاً على صراط مستقيم ، طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين . وإذا كان الإمام الغزالي قد حمل الغرور أس المهلكات فقد جعل التوبة على رأس المنجيات .

ويظهر الغزالي مصوراً حاذقاً يتناول بريشته البارعة بجمع عصره فيصور مخالبه وقسمات وجهه ويحسم وقائمه ونجاعيده ويظهر في ذلك كله ذكاءً وسعة اطلاع ، ودقة ملاحظته وبراعة تصويره وسلامة تفكيره .



## منهج التحقيق

- قدمت للكتاب ، وعرفت عليه بما يتيح لغيره المسلم معرفة أنواع الذنوب ومكفراتها وبيء له كيف يتوب منها .
- قسمت أركان الكتاب الأربعة إلى فصول ، وبذلك جهدي في اختيار العناوين الملائمة لها ليتسنى الإلمام بها ، والانتفاع بكل ما جاء فيها .
- وضعت على مدخل كل ركن « مرآة » ، يرى فيها القارئ ما تضمنه ذلك الركن من أفكار ونقاط .
- قدمت للقارئ بياناً تفصيلياً بالذنوب التي منها تتوب مع أقسام الناس في الآخرة طبقاً لما تناولته الإمام الغزالي مما يساعد القارئ على الإلمام بالموضوع ، ويثير فيه مزيداً من الشوق إلى استيعابه على الوجه الأكمل .
- أخرجت الكتاب في صورته اللائقة وجملته في متناول الجميع ، ليسهل تداوله ، والاستفادة مما تناولته .
- وها هو ذا ينظم إلى « إخوة له » من ربه حجج الإسلام الغزالي أصلها مكتبة القرآن .
- الزواج الإسلامي السعيد .
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى .
- أصناف المغرورين .
- بداية الهداية .
- الأذكار والدعوات .



## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب ، وبذكره يهدى كل خطاب ،  
وبحمده يتعمم أهل التعميم في دار التواب ، وباحمه يتسلى الأشقياء وإن أُرْحِي  
دونهم الحجاب ، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة  
وظاهره من قبله العذاب .

وتتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ، ومسبب الأسباب . ونرجوه  
رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونخرج الخوف برجائنا مزج من  
لا يرتاب أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب .

ونصل على نبيه محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه ، صلاة تنقذنا من هول  
المطلع يوم العرض والحساب ، ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

## مبدأ طريق السالكين

أما بعد . فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام  
العيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال الفائزين ، وأول إقدام المرئيين ؛  
ومفتاح استقامة الماتلين ، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ، ولأينا آدم  
عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين . وما أجدر بالأولاد الاقتداء  
بالآباء والأجداد ، فلا غرو أن أذنب آدمي واجترم<sup>(٢)</sup> فهي شينينة يعرفها من  
أخترم<sup>(٣)</sup> ، ومن أشبه أباه فما ظلم ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد  
( ٢ ) اجترم : ارتكب قبيحاً وعزماً .

( ٣ ) الشينينة : الطيمة والمعدة . وهي بكسر الشين الأول والفتحة . وكان أخرم عاقاً لأنه قعدت ،  
فولدت أولاده على جندهم فأممهم فقال : إن نبي خرجوني بالنم . و شينينة أمرفها من لكرم . فأنسج  
الشطر الثال من البيت مثلاً يضرب في قرب الشبه . ( يجذب صمم الأمثال ) .

أن هدم ، فليكن النزوع إليه في كلا طرفي النفي والإثبات ، والوجود والعدم  
ولله قرع آدم سن الندم ، وتقدم على ما سئل منه وتقدم . فمن اتخذ قدوة في  
الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم . بل التجرد لمحض الخير وأب الملائكة  
المقربين ، والتجرد للشر دون التلاقي سحبة الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد  
الوقوع في الشر ضرورة آدميين . فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك  
الديان ، والمتجرد للشر شيطان ، والمتلاقي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة  
إنسان فقد ازدوج في طينة الإنسان شائبان ، واصطحب فيه سجتان . وكل  
عبد مصحح نسيه إما إلى الملك ، أو إلى آدم ، أو إلى الشيطان . فالتائب قد أقام  
البرهان على صحة نسب إلى آدم بملازمة حد الإنسان . والمعتز على الطغيان  
مسجل على نفسه بنسب الشيطان .

فأما تصحيح النسب إلى الملائكة بالتجرد لمحض الخير فمفارج عن حيز  
الإمكان ، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنأ محكماً ، لا يخلصه إلا  
إحدى الثارين ، نار الندم أو نار جهنم . فالإحراق بالنار ضروري في تخليص  
جوهر الإنسان من عباث الشيطان ، وإليك الآن اختبار أهون الثارين ،  
والمجادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار  
الاضطرار ، إما إلى الجنة وإما إلى النار !!







## تمهيد

إذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع ، وجب تقديمها في صدر ربح للنجيات بشرح حقيقتها ، وشروطها ، وسببها ، وعلامتها ، وثمرتها ؛ والآفات المانعة منها ، والأدوية الميسرة لها . ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان :

**الركن الأول :** في نفس التوبة ، وبيان حدها ، وحقيقتها ، وأنها واجبة على الفور ، وعلى جميع الأشخاص ، وفي جميع الأحوال ، وأنها إذا صحت كانت مقبولة .

**الركن الثاني :** فيما عدا التوبة ، وهو الذنوب ، وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر ، وما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحق الله تعالى ، وبيان كيفية توزيع الدرجات والدركات على الحسنات<sup>(١)</sup> والسيئات ، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر .

**الركن الثالث :** في بيان شروط التوبة ودوامها ، وكيفية تدارك ما مضى من الظالم ، وكيفية تكفير الذنوب ، وبيان أقسام التائب في دوام التوبة .

**الركن الرابع :** في السبب الباعث على التوبة ، وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين وهم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل .

(١) لأهل الجنة درجات على الحسنات . كما أن لأهل النار درجات على السيئات وقد جاء القرآن بهذا ﴿ إن المظالم في الدرك الأسفل من النار ﴾ ، ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ [الأحزاب : ١٩] .

## الركن الأول

### في نفس التوبة

- بيان حقيقة التوبة وحدها .
- بيان وجوب التوبة وفضلها .
- بيان أن التوبة واجبة على الفور .
- بيان أن التوبة واجبة على جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال .
- بيان أن التوبة إذا استجمعت هذه الطها فهي مقبولة لا محالة !!



## الفصل الأول

### بيان حقيقة التوبة وحدها

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى يتنظم ويتلصق من ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال ، وفعل . فالعلم الأول ، والحال الثاني ، والفعل الثالث ، والأول موجب للثاني ، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه امر مرسى الله في الملك والملكوت .

أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب . كونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب . فإذا عرف ذلك معرفة محقة . يسر غالب على قلبه ، ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب . فإن قلباً مهما شعر بفوات محبوبه تألم . فإن كان قوته بقوله تأسف على الفعل المنقوت ، فيسمى تألمه بسبب فعله المنقوت محبوبه ندماً . فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى ، انبعث بالحال ، وبالماضي ، وبالاستقبال . أما تعلقه بالحال ، مستترك للذنوب الذي كان ملازماً وأما بالاستقبال ، فبالعزم على ترك الذنوب لئلا يفتن للمحسوب إلى آخر العمر . وأما بالماضي ، فيتلافى ما فات بالخير والقضاء ، إن كان قابلاً للخير فالعلم هو الأول . وهو مطلع هذه الخيرات . وأبغى بها العلم الإيمان واليقين . فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب ستور مهيكة ، واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق ، وانتفاء الشك عنه ، واستيلاءه على القلب ، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم . فيتم ما القلب حيث يصير بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه ، كس بشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة ، فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب ، أو انقصار حجاب ، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك ، فتشعل نيران الحب في قلبه ، وتنبعث تلك النيران بإرادته للانتهاض للندار .

معها وسدده، واعتد استغفر بالشرك في الحان والاستقبال. والثاني  
سبغ، ثلاثة مع مرة في الحصول، فيطيق اسم التوبة على مجموعها  
وكثيراً ما يفسر اسم الله على معنى للدم وحده، ويجعل العلم كالسائق  
والصمد، والشرك كاشرة والتابع المتأخر. وهذا الاعتبار قال عليه الصلاة  
وسلام: "الندم ثوبة" يد لا يخلو الندم عن علم أوجهه وأثره، وعن عزم  
بعمه ويسوده فيكون الدم محصوراً بطريقه، أعني ثمرته ومشمره. وهذا الاعتبار  
قيل في حديث التوبة أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطايا. فإن هذا يترجم  
عمره الأم. وسبغ قيل هو دار في القلب تنهيب، وصدع في الكبد  
لا يشعب. واعتد معنى الشرك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجماعة  
ونشر بساط الوفاء. وقال سهل بن عبد الله التستري: التوبة تبديل الحركات  
المدمومة بالحركات المأمورة. ولا يتم ذلك إلا بالخبرة، والصمت، وأكل  
الحلال. وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من توبة

والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر. وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة،  
وتلازمها وترتبطها عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع  
معانيها. وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ عرده



(٥) حديث الدم بوجه من وجهه وابن حبان والحاكم وصححه استاذنا من حديث ابن مسعود ورواه ابن  
حبان وذكره من حديث أبيه وقال صحيح على شرط الشيخين  
(٦) عريجه (٧) الصدع الشق، والانشاب، الانفطار



## المفصل الثاني

### بيان وجوب التوبة وفضلها

أعم أن وجوب التوبة صاهر للأحاديث والآيات، وهو واضح من  
الصورة عند من اعلم بخصايصه، وشرح له سر الإيمان صوره حتى أحسن  
عن أن يسمى سورة الذي من يديه في طمس جهل، معباً عن ذلك بمؤداه  
في كل حصوه. فسلالت إم أعمى لا يستغنى عن فائدة في حصوه، وبما شير  
يهدى إلى نور. بصيرة ثم يهدى نفسه. وكذا في صريح معنى  
يتسمون حد الانقسام من قاصر لا يقف عن محبة نفسه في حصوه،  
يفقر إلى أن يسمع في كل فمه صاعاً من كذبة تفسد رسوبه، وبما يحوره  
ذلك فيتحور. فسور هذا وإن طال عمره وعبد جده مختصر، وخطاه قاصره.  
ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام، فهو عن نور من ربه، فبنته بأدنى  
إشارة لسلوك طريق معوضة، وقطع عقبات متعبة. ويشرق في قلبه نور القرآن  
ونور الإيمان. وهو لشدة نور باطنه يخترقه. فبيان، فكأنه يكاد زيته يضيء  
ولو لم تمشته نار. فإذا مشته نأز فهو نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء  
وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة.

(٨) حديث الأخبار العامة على وجوب التوبة: مسلم من حديث الأخر المزني بإيه الناس توبوا إلى الله  
الحديث: ولأين صفة من حديث جابر بإيه الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا - الحديث: وسنة  
صحيح

## ماذا يفعل من أراد أن يعرف وجوب التوبة ؟

فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة ، فليطوّل أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ، ثم إلى الوجوب . معناه : ثم يسمع بين معنى الوجوب والتوبة . فلا يشتك في ثبوته . ذلك بأن يصمم معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد ، والنجاة من هلاك الأبد ، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه ، لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى . وقول القائل صار واجباً بالإيجاب حديث محض . فإن ما لا غرض لنا أجلاً وعاجلاً في فعله وتركه ، فلا معنى لاشتغاله به أو جبهه عليها غيرنا أو لم يوجبه . فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في عزة الله تعالى ، وأن كل محبوب عنه يشتكى لا محالة ، يحول بينه وبين ما يشتهي ، يخترق بندر الفراق . فليحجم وعدم أنه لا مبعث عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات . لأن الله تعالى . ولا كتاب عن حب ما لا يد من فراقه قطراً ، وعلم أنه لا مقرب من عزة الله ، لا يقع علامته نصب عن رحمة هذا العالم ، والإقبال بالكنية على الله تعالى لأنس به بدوام ذكره ، وللمسحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته .

## لزوم التوبة للعبد

وعلم أن الذنوب التي هي إغراض عن الله ، واتباع خباب الشياطين أعداء الله المبشرين عن حضرته ، سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى ، فلا يشتك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب . وإنما يتم الانصراف بالعلم ، والدم ، والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن

المحبوب لم يدم ، ولم يتوحد بسبب صنوفه في طريق العبد . وما لم يوحج به يرجع . ومعنى الرجوع الترتب والعزم فلا يشتك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب . وهكذا يكون الإقبال الحاصل عن نور البصيرة . وأن من لم يترشح مثل هذا انقضاء المرتجع دروته في حلول أكثر الحلول ، فهي والاتباع له مجال رتب ، يتوصل به إلى السعادة من الهلاك ، فليلاحظ فيه قول الله ، وقول رسوله . « قُلْ لِّلصَّالِحِينَ . فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَتَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ » وهذا أمر على العموم . وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ الآية . ومعنى النصوح حاله لله تعالى حالاً عن شوائب مأخوذ من الصبح . ويدل على معنى توبته قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ . وقيل عليه « سلام » . الثالث حيث الله والثالث من الذنوب كمن لا ذنب له .

## فرح الله بتوبة العبد

وقال رسول الله ﷺ : « الله أفرح بتوبة العبد المؤمن من دخل نزل في أرض قذرة مهلكة » <sup>(١١)</sup> . ففقه زاحلته عنها طعماته وشرايته فوضع رأسه فقام

(٩) البر ٢١

(١٠) التجرم ٨

(١١) البقرة ٢٢٢

(١٢) حديث الثالث حبيب الله والثالث من الذنوب كثير لا ذنب له : ابن ماجه من حديث ابن مسعود بالخط الثاني دون الأول وإنما الخط الأول مروى في أثر الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب القرب من حديث أنس بن مسعود « إن الله يحب المتطهرين » ولبيد الله بن أحمد في زواجر المستند وأبو يعلى بن مسعود من حديث علي « إن الله يحب العبد المؤمن يغفر الذنوب » .

(١٣) حديث في الفرح بموت المؤمن من رجل يرد في أرض غلاة ذنوبه مهلكة - الحديث - معني عليه من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك من حديث أنس لم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبي وأنا ربك أعطيت من شدة الفرح ورواه مسلم بدون هذه الزيادة من حديث الثعلبي بن بشر ومن حديث أبي هريرة مختصر

(١٤) سورة الفاتحة ، والفاتحة الواقعة ،

نَزَمَةٌ فَاسْتَقِظَ وَقَدْ دَهَتْ رَاحِلَتُهُ فَطَلَبَهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقْدَّ عَلَيْهِ الْخَرُّ وَالْمَطَرُ  
أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَائِي الَّذِي تَخْتُبُ فِيهِ فَأَتَانَا حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ  
رَأْسَهُ عِنْدَ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَقِظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ عَلَيْهَا زَاذَةٌ وَضَرَابَةٌ فَاللَّهُ  
تَعَالَى أَشَدُّ قُرْحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا يَرَا جَلِيلِهِ ، وَفِي بَعْضِ الْأَلْفَاظِ قُرْ  
مِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ ، إِذَا أَرَادَ شُكْرَ اللَّهِ ، أَنَا رَبُّكَ وَأَنْتَ عَبْدِي

ويروى عن الحسن قال : لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام : هاتته  
الملائكة . وهبط عليه جبريل وميكائيل عندهما السلام . فقالا يا آدم قرئت عليك بتوبة  
الله عليك . فقال آدم عليه السلام : يا جبريل ، من كان بعد هذه التوبة سؤال  
فأين مقامي ؟ فأوحى الله إليه يا آدم ، ورثت ذريتك التعب والعصب ، وورثتهم  
التوبة . فمن دعاني منهم ليت كما ليث ، ومن سألتني المعفرة لم أخل عليه ، لأن  
قريب محبوب يا آدم ، وأحشر الناس من القبور مستبشرين صاكرين ،  
ودعاؤهم مستجاب . والأخير والآخ في ذلك لا تحصى ، والإجماع معقد من  
الأمّة عن وجوبها ، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من  
الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ، ولكن قد تدهش الخلة عنه فمعنى  
هذا العلم إزالة هذه المعلقة ، ولا خلاف في وجوبها .

ومن معانيها ترك المعاصي في الحال ، والتمس على تركها في الاستقبال ،  
وتلارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال ، وذلك لا يشك في وجوبه وأما  
الندم على ما سبق ، وسحره عليه . فوجب وهو روح التوبة ، وهو تمام  
الطلاق فكيف لا يكون وحياً ! بل هو نوع أم يحصل لا محالة ، عقب حقيقة  
المعرفة بما فات من العمر وصاح في سخط الله

فإن قلبه نادم فبأنه لا بد من ندم تحت الاحتيار ، فكيف  
يوصف بالوجوب ؟

فدعنا أن سببه تحقيق العلم بدوام المحبوب وأنه سبيل إلى تحصيل منه  
ومثل هذا المعنى دخل العلم تحت وجوب ، لا معنى أن الندم يحمله العبد

ووجدته في نفسه . فإن ذلك محال . بل حسبه والندم . ويعمل ، والإله .  
والقدرة . والقاهرة . الكل من حسبه . والله خلقكم وما  
تعملون .<sup>(١٥)</sup> هذا هو الحق عند قوى بصائر ومسيرى هه صلا

## بحث في أفضل العبد وهل له اختيار

فإن قلبه أقبل للعبد الحبيب . فعمل والحرارة . فبأنه قد وجدته  
لا يافض قوماً إن الكل من حسن الله تعالى . بل الأحب أيضاً من حب الله  
والعبد مضطر في الاختيار الذي به فإنه لا بد من الله الصحيحة ، وحق  
العدم السديد ، وحق الشهوة المنفعة في نفسه ، وحق العلم في نفسه . بل  
العلم يمكن الشهوة ، وحق خواص المعرفة في أن هذا العلم هل فيه  
مصرة مع أنه يمكن الشهوة ، وهل دون ما يمنع يعبر معه تأويله ثم لا ، ثم  
حق العلم بأنه لا مانع ، ثم عند الاحتياج منه لأسباب سحر لإرادة الدعوى على  
النول فاعرف الإرادة بعد تردد الخواص المتعارضة وبعد وقوع الشهوة  
لنفسه يسمى اختياراً ، ولا بد من حصة عند عدم أسفه . فإذا حصل حرام  
الإرادة بخلق الله تعالى يده ، تحركت له صحيحة في جهة النقصان لا محالة  
إذ بعد تمام الإرادة والقدرة ، يكون حصل العلم ضرورياً فتحصل الحركة ،  
فيكون الحركة بخلق الله بعد حصول المدة والحرارة ، وهما أيضاً من  
خلق الله . وحرام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم المنافع ،  
وهما أيضاً من خلق الله تعالى . ولكن بعض هذه المصروفات يترتب على البعض  
قرئياً جرت به سنة الله تعالى في خلقه . بل سنة الله تدبيراً . فلا يحسن الله  
حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيه صفة تسمى قسرة ، وما لم يخلق فيه  
حياة ، وما لم يخلق لإرادة مجزومة . ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزدده وعند العلم والميل الضمني أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعن القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible]

ومن حرك سبيله لأبيه و أمه - علم مكلفه منسوخة - و قد  
ارتفع صاحب مسندك عن الأئمة - معتمد في أمر الله - علم كماله يشهد  
لا حول إلا الله ، ولا قوة الا بالله

وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْيَبِ وَقَدْ جَعَلَهُ فِي هَيْئَةٍ يُؤْبَىٰ إِلَيْهَا ۚ فَلَوْلَا إِذْ سَمِعَهُ بِهِنَّ يَأْتِيَنَّهُنَّ الْغَيْبُ وَهُوَ غَافٍ لَا يَدْرِي

٧ الأضواء



من مشاهدته ومعرفة بالضم الذي تغلغل فيه، فمؤنة فلما وصلوا إليه  
سود موقع به بحر مد - عن رحيه ووقع يد يعقبه على نابه، ووقع يد  
يعقب على أذنه فتدبر قد عرفوه فقد عرفوه قد عرفوه قد عرفوه ،  
فحسب أحبتهم فقال من لمن رحيل إن غلبت في إلا من سطوته  
حينه صهر، إلا أنه أين منها وقد بين من تها من كما بقول . من  
هو حسب لأين فيه، وأمسى لإحصيه فيه، ومن في عطف لأصوبه  
فلما، بل هو من عمود وقد بين أن لا من معنى قد - وفيه  
خشية فصدق أحدهم فيه ولكن في - منه مثل عمود، ولا هو مثل  
مضبوته، بل هو مثلي ح - خربص عطف ولكن واحد من هؤلاء صدق من  
وجه، إذ أخير كل واحد عما أقامه من معرفته غير، ود خرج واحد في حيرة  
عن وصف الغير ولكنه حينه قصره عن لإحصيه بكنة صورة غير  
اختصر بهذا المثال وعمره، وفيه من أكثر ما حمل من فيه وبك كان  
هذا كلاماً يسطح عدم المكاشفة وجرئت أمر ح - - دلت من عرب

## وجوب التوبة بجميع أجزائها

فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بلد أو التربة واجبة لجميع أجزائها الثلاثة .  
الماء ، والدم ، والترك ، وأن هذه دحل في الوجوب ، كونه واقعا في جهة  
أعمال الله المحصورة بين علم العبد ، وادته ، وقدرته المتحللة بينها ، وما هذا  
وصفه فاسم الوجوب يشملته .



### الفصل الثالث

## بيان أن وجوب التوبة على الفور

أما وجوبها على الفور فلا يستتراب فيه . إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الإيمان ، وهو واجب على الفور ، وانتمنى عن وجوبه هو الذى حرره معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه . فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التى لا تتحقق بعمل ، بل هى من علوم المعاملة . وكل علم يراد ليكون باعثاً على عمل فلا يقع لخصى عن عهده عالم بهصر باعثاً عليه . والعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو باقّد لها . اجراء من الإيمان . وهو اراد بقوة عبه 'سلام' ) لا يرمى الزاى حين يرمى وهو مؤمن . وما أراد به نفس الإيمان الذى يرجع إلى علوم المكاشفة ، كاعلم بالله ، ووحديته ، بصفته ، وكنه ، ورسنه ، فرب دلت لا يسميه نربا والمعاصى . وإنما أراد به نفس الإيمان لكون الراف مبداً عن الله تعالى . موجياً لمقت . كما إذ قال الطيب : هذا سم فلا تتلوه فإذا تتلوه يقال تناور وهو غير مؤمن ، لا معنى أنه غير مؤمن بوجود حبيب ، وكونه صيباً وغير مصدق به . بل المراد أنه غير مصدق بقوله إنه سم مهلك . فإن العالم بالسم لا يتلوه أصلاً . فالمعاصى بفسورها باقصة الإيمان . وأمس الإيمان بان واحد ، بل هو سب وسعون بان ، أعلاها شهادة بان لا اله إلا الله ، وأدناها إمارة الأذى عن الصريح . ومثاله قول القائل . ليس إلا بيب موجوداً واحداً ، بل هو نيب وسعون موجوداً ، أعلاها القلب والروح وأدناها إمارة الأذى عن البشارة ، بأن يكون مقصودى الشارب ، مقلوم الأظفار ، نقى البشرة من الخبث ، حتى

(۲۰) حدیث لا یزول عن یزید وهو مؤمن متفق علیہ من حدیث ابن جریر



الأصل ، ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد ، وهو أن وجود الفرع  
وغايه جميعاً يستدعي وجود الأصل ، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود  
فرع معه الأصل بالفرع ، ووجود الفرع بالأصل ، فعلوم المكاشفة وعلوم  
المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل ، فلا يستغنى أحدهما عن الآخر ، وإن  
كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة السطح ، وعموم المصداق إذا لم يكن  
باعطى على العمل فعدمها غير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي نرد  
له . قامت مؤيدة للحجة على صاحبها . ولذلك يزداد في عذاب العالم العاقر على  
عذاب الجاهل العاقر . كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم



## الفصل الثاني

بيان أن وجوب التوبة عام

في الأشخاص والأحوال فمن ينفك عنه أحد البتة

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على أن التوبة واجب على كل من توبه إلى الله  
جميعاً أيها المؤمنون لعنكم أنفسكم كما أن الله سبحانه وتعالى هو الصيرورة  
يرشد إليه ، معنى التوبة يرجع عن ذنوبه من الله ، فرب  
شيء .

ولا يتصور ذلك إلا من عرف ، ولا تبت عليه غيره ، ولا تبت عليه غيره  
الشهوة ، والغضب وسائر الشهوات فلهذا هي هي وسائل شيطان إلى  
إغواء الإنسان ، إذ كان العقل إما يكون ما يدرسه لأربعين رأسه في يوم  
عند مراقبة البلوغ ، ومبادئه نصير . من سبع سنين . وسهوات وجود  
الشيطان ، والعقول جنود الملائكة ، فإذا جسد قام القلب بينهما بالضرورة ،  
إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأحدهما ضيقان . وانتظار بينهما كالتصديق بين الليل  
والنهار ، والنور والظلمة . ومهما علي أحدهم أزعج الآخر بالضرورة . وإذا  
كانت الشهوات تكمّل في الصبا والشبه في كمال العجز ، فقد سبق جد  
الشيطان ، واستولى على المكان ، ووقع القلب به أس ، وألف لا محالة  
مقتضيات الشهوات بالمادة . وغلب ذلك عليه ، ويصر عليه الفروع عنه . ثم  
يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنته . ومنقذ أولياته من أهدى أعدائه شيئاً  
مشيقاً عن التدرج ، فإن لم يفكر ولم يكسر . سمى منك عبث للشيطان .

وأمر اللعين موعده حيث قال ﴿لَا تُجِيبُنَّ دُعَاةَ قَوْمِكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وإن كسر العقل وقوى، كان أول شعله قمع حدود الشيطان بكسر جهوت، ومعرفة العادات، ورد الصبح على سبب انقراض النعمات. ولا معنى حسنة إلا هذه، وهو الرجوع عن طريق، دسه الشهوة، وحتمه شيطان، إن صريق الله تعالى وليس في موجود آدمي إلا وسهونه سابقة عن نفسه. وشريرته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملاذثة، فكأن رجوع عبد سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان، نبياً كان أو عبداً، فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام. وقد قيل:

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها مسجية نفس كل غانية هند

بل هو حكم أنزل مكتوب على جنس الإسم، لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها. مرد كل من بلغ كافراً جاهلاً معية التوبة من جهله وكفره. فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبيه، غافلاً عن حقيقة إسلامه، فعليه التوبة من غفلته بفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغني عنه إسلام أبيه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلمه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف، بالرجوع إلى نسب حدود الله في المنع والإصلاح، والامتناع، والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وبه هلك الأكثرين، إذ عجزوا عنه. وكل هذا رجوع وتوبة.

فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص، لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر، كما لم يستغن آدم. فخلقة الولد لا تنسح لما لم يتبع له خلقة الوالد أصلاً.

وأما بيان وجوبها على الدوام، وفي كل حال، فهو أن كل بشر فلا يخلو من معصية يجول روحه. إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من

خطايا الأنبياء، وتوبتهم، وبكائهم على خطاياهم. فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الغم بالذنوب بالقلب فإن خلا في بعض الأحوال عن الغم، فلا يخلو عن وسوس الشيطان بإيراد الخواطر المشرقة المذهلة عن ذكر الله. فإن خلا عنه، فلا يخلو عن غفلة وقصور في الغم بالله، وصعته، وأفعه. وكل ذلك نقص. وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع. ولا يتصور الخلو في حق آدمي من هذا النقص، وإنما يتفاوتون في التقدير. فأما الأصل فلا بد منه. ولما قال عليه السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى قَلْبِي حَيٌّ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَتِينَ مَرَّةً﴾، أحسب. ولذلك كرمه الله تعالى بأن قال ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَلَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَتَتَابَعْتَ﴾<sup>(١)</sup> وإذا كان هذا حاله، فكيف حال غيره؟

فإن قلت: لا يخفى أن ما يقرأ على القلب من لحوم والخواطر نقص، وأن الكمال في الخبر عنه، وأن القصور عن معرفة حال الله نقص، وأنه كلما اردادت المعرفة زاد الكمال، وأن الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع، والرجوع توبة، ولكن هذه فصائل لا تراعى، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع. فما المراد بقولك لتوبة واجبة في كل حال؟

فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلاً. وليس معنى التوبة تركها قطعاً، بل كنهه توبة بتدارك ما مضى. وكل شهوة اتبعها الإنسان لارتفع منها ظلمة إلى قلبه، كما يرتفع عن نفس الإنسان ضمة إلى وجه المرأة الصقيلة. فإن تراكمت ضمة الشهوات صار رباً، كما

(٢٤) حديث أنه لعان على من استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة: مسلم من حديث الأعرابي إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكلما عد أن موافقاً للخطيئة من حيث أتى فربما إلى الاستغفار في اليوم أكثر من مائة مرة وفي رواية البخاري في الشعب سبعين لم يخل أبداً وتقدم في الأذكار والدعوات.

في صير بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه غيباً، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢٧) فإذا تراكم الرين صار طبعاً (٢٨)، فيطبع على قلبه، كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه، غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار لا يقبل الصقل بعده، وصار كالمطبوخ من الحبث. ولا يكفى في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بد من محو تلك الأرياف التي انطبعت في القلب. كما لا يكفى في ظهور الصور في المرأة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل، ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأرياف. وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات، فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتضحى ظلمة انصبة بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام (٢٩): «أبج السينة الخمسة تنفحها».

فإذا لم يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السينات عن قلبه، بمباشرة حسنات تصاد آثارها آثار السينات هذا في قلب حصل أولاً صفاته وجلالته، ثم أنظم بأسباب عارضة.

فأما التصقل الأول ففيه يطول الصقل، إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصلابة عن المرأة كمشغله في عمل أصل المرأة. فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً. وكل ذلك يرجع إلى التوبة.

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً، بل هو فضل وطلب كمال، فهاهم أن الواجب له معنيان أحدهما: ما يدخل في خوى الشرع، ويشترك فيه كافة الخلق، وهو القدر الذي لو اشتمل به كافة الخلق لم يخرّب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يحقوا الله حق ثقافته لتركوا المعاش، ورفضوا الدنيا بالكفة. ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعاش لم يفرغ

(٢٦) انظر ص ١٤٠

(٢٧) الطبع: نظم، والرين: غيب الوسخ.  
(٢٨) حديث أبي السيرة الخمسة لعمري: الترمذي من حديث أن طر زيادة في قوله وآخيه وقال حسن صحيح وقد تقدم في رتبة النفس.

يحد للتقوى بل شغل احبائه، والحرقة، والخير يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات يست بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين، والمقام المحمود بين الصديقين. واليه من جميع ما ذكرناه واجبه في الوصول إليه. كما يقرر الصهبة واحدة في صلاة الطلوع، أي لمن يريد بها، فيه لا يحصل إليها إلا بها. فأما من وصى بالنفوس والحرمان عن فصل صلاة النصوص، فانصهارة يست واجبة عليه لأجله كما يقال العين، والأذن، واليد، والرجل، شرط في وجود الإنسان. يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته، ويحصل بها إلى درجات العلا في الدنيا. فأما من قبح بأصل الحياة، ورضي أن يكون كالحم على راسه (٣٠)، وكخزلة مطروحة. فليس يشترط من هذه أحواله، ويد، ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في تقوى العامة لا يحصل إلا إلى أصل السجدة. فأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل السجدة من السعادات التي بها تنقضي حياة، يجرى بحرى الأعضاء والآلات التي بها تنبأ الحياة، وفيه معنى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمر، وعليه كان حرصهم، وحوائله كان عند فهم، ولأجله كان رفضهم ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في ساه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما كنت تحركت الدنيا للأخرة؟ فقال نعم وما الذي حدث؟ فقال توسدك لهذا الحجر تنصرف الدنيا، فلم لا ترفع رأسك عن الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر، ووضع رأسه على الأرض وكان ربه يحجر توبه عن ذلك السعد أقرب. فمضى عيسى عليه السلام بهبه أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى واجباً متناهي العامة؟

أفترى أن نبيا محمداً ﷺ لما شعلته النبوة الذي كان عليه علم (٣١) في

(٢٩) الوهم: خشية الجور التي يمنع التعمق في العلم والوقوف عند ملك من أمر نفسه شيئاً  
(٣٠) حديث لزعة بن كلفة الذي كان عليه في الصلاة: تقدم في الصلاة أهد  
(٣١) علم النبوة: رؤيته ورفقه

صلاته حتى نزعه<sup>(٣٢)</sup>، وشعبه شيراك<sup>(٣٣)</sup> نعله الذي جلده حتى أعاد الشرايين الخلق، لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكفة عباده؟ إذ علم ذلك فلم تلب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يحميه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟

أخبرني أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب الخمر، وعلم أنه على غير وجهه، أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه، حتى كاد يخرج معه روحه، ما علم من العنة هذا القدر، وهو أن ما أكله عن جهل فهو عمر آثم به، ولا يجب في حق من أكله إخراجها فلم تلب عنه بتركه بالتدراك على حسب إمكانه بتجلية العنة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لئلا يقر في صدره، عرفه ذلك السر أن قنوى العنة حدث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا الصديقون؟

فأتمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف بحق الله بالله، وبطريق الله، وبمكر الله، وبممكن الغرور بالله. وإياك مرة واحدة أن تترك الحياة لندبا، وإياك لم إياك ألف مرة أن يترك بالله الغرور<sup>(٣٤)</sup>. فهذه أسرار من استشقى مبادئ روائعها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه، ولو همز غمز نوح، وأن ذلك واجب على العبد من غير مهلة. ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يك العبد ساء بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة، وكان خليفاً أن يخرجه ذلك إلى الممات. فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله! وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهره نفيسة: وصاعت منه بغير فائدة، بكى عليها لا محالة. وإن ضاعت منه وصار ضايعها سبب هلاكه، كان بكاؤه منها أشد. وكل ساعة من العمر، بل كل نفس جوهر نفيسة، لا حطب لها، ولا بديل لها، فإنها صالحة لأي توصلك إلى سعادة الأبد، وتفقدك من شقاوة الأبد. وأي جوهر أنفس من هذا؟ فإذا صيغتها في الغفلة، فقد

(٣٢) حديث نزعه الشراك الجديد وإعادة الشراك الخلق: تقدم في الصلاة أيضاً.

(٣٣) شراك المل: سواد العين من طهر القدم.

(٣٤) الغرور: بفتح الغين - الشيطان.

حسرت حمران نبيها وإن صرفتها إلى معصية، قد هلك هلاكاً وحشاً. ومن كنت لا تيكى على هذه المعصية، فذلك حيثك ومصيبك بجهلك أعظم. من كل معصية، لكن الجهل بمعصية لا يعرف المصائب بما أنه صاحب معصية. ومن نوم العلة يحول به وبين معرفته، والناس نيام، فإذا ماتوا لم يجدوا. بعد ذلك يكشف لكل مفلس إفلاسه. ولكل مصاب معصيته. وقد رفع ساس عن التذكار.

قد نعت العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد، أعلمه أنه قد بقي من عمره ساعة، وإثنت لا تستأخر عن طرفة عين. فينبو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بمسايفها<sup>(٣٥)</sup> تخرج منها، على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى، ليستحب فيها ويسرك تقريطه، فلا يجد إليه سبيلاً. وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى ﴿وَجِبِلٌ يَتَهَمُ وَيُنْهَى﴾<sup>(٣٦)</sup>، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿مَنْ قُلُوبُ أَنْ يَأْتِيَ أَخْلُكُمْ الْمَوْتُ﴾ ويقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأقتل وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها<sup>(٣٧)</sup>، فقبل الأجل قريب سدى يصسه معاه أنه يقول عند كشف العطاء للعبد: يا ملك الموت، أخرني يوم أعتذر فيه إلى ربك وأتوب، وأتردد صالحاً لنفسى فيقول: فب الأيام فلا يوم. فيقول فأخبرني ساعة. فيقول: فليت الساعات فلا ساعة فينلق عليه باب التوبة، فيترعرع بروحه، وتتردد أنفاسه في شر أسف، ويتجرع عصاة اليأس عن التدارك، وخسرة التذامق على تصحيح العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال. فإذا زهقت نفسه، فإن كان سبق له من الله الحسنى، خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن لطافة. وإن سبق له القصد بالسفوة ولعبد بالله، خرجت روحه عن الشك والاضطراب، وذبح سوء الحجة. ولعل هذا بعد أن وليت التوبة للذي يعملون السيئات حتى إذا حصر أحدكم الموت قال إني كنت الآن<sup>(٣٨)</sup>. وقوله ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾<sup>(٣٩)</sup> ومعاه عن قرب عهد

(٣٥) حلق الشئ: أماله ورواحه الواحد حمران وكسر حمر.

(٣٦) ساء: ٥٤ (٣٧) الماشقون: ١٠، ١٨ (٣٨) الساء: ١٧



مخضبة من سدر عذب ، ويحترق نوره حنة يرددها من أن يتركه ليرى عن  
الذهب فلا يقبله الله

والمسك من الجنة ، وأبيض السبغة الحسنة ثمنها ، وحدث في زمان لامة  
يا بلى لا تفرح التوبة ، فإن الموت يأتي بعته ومن ترك استودع إلى التوبة  
مالتويف كان بين حصرين عصبي أحدهما أن تتركه تضعه على قلبه من  
مضيق ، حتى يصير ريباً وصعباً ، فلا يقبل المحو ، الذي أو يداخله  
فرض أو الموت ، فلا يجد منه ملاشعاً بالمحو وحدث ورد في الخبر " إن  
أكثر حجاج أهل النار من التثويف ، فما هلك من هلك " إلا بالتثويف  
فيكون تسويده عيب بقدر ، وحلاؤه بالفضة سيئه ، إلى أن يصفه الموت  
فيأتي الله بعب غير سليم ولا يحو إلا من أن الله بعب سبب والعب أمانة  
الله تعالى عند عبده ، والعمر أمانة لله عنده وكما سائر أسباب بضاعته فمن  
عان في الأمانة ولم يتدارك غيائته ، فأمره محط في بعض مدد من إن الله  
تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإقام ، أحدهما إذا خرج من بعض  
أمة يقول له : عدي ، قد أخرجك إلى الدنيا طاهر نصيباً ، واسودعت  
عمرك واشتكت عه ، فحصر كيف تحفظ الأمانة ، وانظر إلى كيف تلقى  
وثنى عدا حروح روحه بقول : عدي ، ماذا صنعت في فاضي عندك ؟ هل  
حفظتها حتى تنقش عن عهد ، فذلك على وفاء ؟ أو أصعبها فذلك بمصائبه  
ولعقاب ؟ وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٤١)  
ويقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٤٢)



(٤٠) الزمى . الطبع والنس . يقال وإن دابة على قلبه أي غلب قال أبو عبيد : في قوله تعالى  
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ أي غلب وقال الحسن رضي الله عنه : هو الذنب من  
الذنب حتى يتأذى القلب . وقال أبو عبيد : كل ما خلك قد ران بك ورانته ورانته  
(٤١) حدث إن أكثر حجاج أهل النار من التثويف لم يجد له أملاً  
(٤٢) البقرة ١٠٠ (٤٣) المؤمن ٨



## الفصل الخامس

### بيان أن التوبة إذا استجبت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

اعلم أنك إذا فهمت معنى غوب ، ونشئت من كل توبة صحبته فهي  
مقبولة ، فاصبرون بور ثقاتكم مسنون من راقبكم ، صبركم كل  
فب سبب مقبول عند الله ، وسعد في الآخرة . حو الله تعالى . ومستعد  
لأن يصير بعينه التوبة إلى روح الله تعالى وعنده . عيب حتى سبب في  
الأصل ، وكل مولود يولد على الفطرة ، فمده به سلامة بكاءة بره  
وحجه من عبده المذنب وظلمت . وعلموا أن الله يدم تحرق تلك العثرة ، وأن  
بور الحنة يحو عن وجه القلب ضمة تسعة . لا طاقه لظلام المعاصي مع  
بور حسنة كما لا ضقة ظلام الليل مع جور . بل كما لا ضقة بكاءة  
الوسع مع بياض العيون . وكما أن الثوب الريح لا يفسد من أن يكون  
لباسه وانقب انقب لا يفسد الله تعالى وأن يكون . بل جوده . وكما أن سبب  
الثوب في الأعمال الحسنة يوسع الثوب ويوسع بالصابون والماء الحار يطفئه  
لا محالة . فاستعمال القلب في الشهوات يوسع القلب ، وعسل بماء الدموع  
وحرقه بدم بصره ، ويصبره . ويركيه . وكل من ركن صدره فهو مقبول ،  
كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول . فرب عيب به كنهه نصيب . فمحبوب  
محبوب قد سوره القصص ذكر الشقي ذممه . وهو يسمى فلاح في قومه  
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٤٤)

ومن لم يعرف عن سبيل التحقيق معرفة قوى وأجل من المشاهدة بالبصر ، أن القلب يتأثر بالمعاشي والطاعات فائثاً متصداً ، يستمر لأحدهما لفظ الظلمة ، كما يستمر للجهنم ، ويستمر للآخر لفظ النور ، كما يستمر للعلم ، وأن يوم النور والظلمة تصاداً ضرورياً ، لا يتصور الجمع بينهما . فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ، ولم يعلق به إلا أسنانه ، وقلبه في غطاء كئيف عن حقيقة الدين . بل عن حقيقة نفسه ، وصفات نفسه . ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل . وأعى به قلبه . إذ بقلبه يعرف قلبه . فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه .

فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل ، كمن يتوهم أن الشمس تطع والظلام لا يزول ، والثوب يمس بالصابون والوسخ لا يزول . إلا أن يفرض الوسخ يصور تراكمه في ليوبيع الثوب وحطه ، فلا يقرى الصابون على قلعه . فمثال ذلك أن تراكم الدوب حتى يصير طبعاً وربنا على القلب . فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يهرب . نعم . قد يقول باللسان : تبت ، فيكون ذلك كقول القصار<sup>(١٨)</sup> بلسانه قد غسلت الثوب ، وذلك لا يظف الثوب أصلاً ، ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف المتمسك به . فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد ، بل هو المالب على كافة الخلق المقلبين على الدنيا ، المعرضين عن الله بالكلية . فهذا البيان كاف عند ذوى البصائر في قبول التوبة . ولكننا معضد جناحه بنقل الآيات ، والأخبار ، والآثار فكل استبصار لا يسهل له الكتاب والسنة لا يوثق به . وقد قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾<sup>(١٩)</sup> وقال تعالى ﴿ غَايِرَ الذَّلْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾<sup>(٢٠)</sup> إلى غير ذلك من الآيات .

(١٨) قصار الذي يقب الثوب ويغسلها ويمسحها

(١٩) الشورى . ٢٥

(٢٠) طه . ٣٠

وقال عليه السلام : الله أقور بقرية أخذتكم في الحيات . والفرح وراء القلوب بها دليل على الصلوات وزيدة . وقال عليه السلام : إِنْ لَمْ يَخْرُجْ رَجُلٌ يَسْطُرْ يَمْلِكُهُ بِالتَّوْبَةِ لَمْ يَسْأَلِ الْبَلَاءُ إِلَى التَّهَارِ وَلَمْ يَسْأَلِ التَّهَارُ إِلَى التَّحِلِّ خَشْمٌ يُصْنَعُ الشَّمْسُ مِنْ فُغْرِيهَا . وبسط اليد كناية عن طلب التوبة . وحلب وراء القلوب . من ليس بطالب ، ولا طالب إلا وهو قاتل . وقال عليه السلام : لَوْ عَمِلْتُمْ الْخَصْبَ حَتَّى تَبْلُغَ السَّمَاءَ ثُمَّ يُدْعِشَكُمْ لِقَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ . وقال أيضاً<sup>(٢١)</sup> : إِنْ أَعْتَدَ لِدَلْبِ الذَّلْبِ لِيَدْخُلَ بِهِ الْخَنَّةَ ، قَبْلَ حَيْثُ دَلَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَكُونُ نَعْتَبٌ فِيهِ تَابًا مِمَّنْ قَالُوا حَتَّى يَدْخُلَ الْخَنَّةَ . قال عليه السلام : كَفَّارَةُ الذَّلْبِ التَّائِبَةُ . وقال عليه السلام : الْغَائِبُ مِنَ الذَّلْبِ كَمَنْ لَا ذَلْبَ لَهُ .

ويروى<sup>(٢٢)</sup> : أن حسناً قال يا رسول الله ، إن كنت أعمل العواشع ، فيل في من توبة ؟ قال نعم . فوَلَّى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ، أَكُنْ بِرَأْيِ وَأَنَا أَعْمَلُهَا ؟ قال نعم . فصاح الجبشي صيحة خرجت فيها روحه . ويروى<sup>(٢٣)</sup> : أن

(٢٨) حديث الله بسط يده بقرية لمسه الليل إلى النهار — الحديث : مسلم من حديث أبي موسى بن خلف بسط يده بالليل ليوب مية النهار — الحديث : وفي رواية ليعزال مية الليل أن يوب بالنهار — الحديث

(٢٩) حديث لو علمت خطايا حتى تبلغ السماء ثم يدعشني لِقَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَمْ يَجِدْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَرَهُ وَأَسَانَهُ حَسْبُ بَلْفُ مَوْعِدَاتِهِمْ وَقَالَ ثُمَّ يَدُ

(٣٠) حديث أن العبد ليدب ذلبي فيدخل به الجنة — الحديث : ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً ولأن لمع في الخلية من حلفت أن توبة العبد ليقب الذلبي فإذا ذكره أخرجه فإذا نظر الله إليه أنه أخرجه عنه له — الحديث : وفيه صريح القوي وهو رجل صالح لكنه مضى في الحديث ولا من أن الدنيا في التوبة من حديث ابن عمر أن الله يفتح العبد بالذنب بذنبه والحديث غير مصور قاله السبيل .

(٣١) حديث كفارة الذلبي التائبة : أحمد والقرطبي وهو في التائب من حديث ابن عباس وفيه معنى من عمر ابن مالك الشكري ضعيف .

(٣٢) حديث إن حسناً قال يا رسول الله إن كنت أعمل العواشع فمن من توبة قال نعم — الحديث : م أحمد به أصلاً

(٣٣) حديث إن الله لا يمس الممس سأل النظرة فانظره إلى جود القيامة قال وعزتك لاخرجت من قلب من أقم ما دم فيه الروح — الحديث : أحمد وأبو بكر بن فضالة . صحيحه من حديث أبي سعيد عن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أزال أكره حياتك ما كنت أقوسهم . أجسادهم فقال وعزتك لا أزال أكرههم ما استقروا أوردته المصنف بصيغة ويروى كذا و . . إلى النبي ﷺ وذكرته إيجاباً

به مخرج من عن إبليس ، سنة الصرة<sup>(١)</sup> فأصره إلى يوم القيامة فقال :  
وعزتك لا أخرجت من قلب أبي آدم ما دم فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي  
والأجر لا أخرجت عنه التوبة ما دام الروح فيه . وقال صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> : إن  
الجنات يذهب السيئات كما يذهب الماء الرشح والأجار في هذا  
لا تخفى

ولما الآثار : فقد قال سعيد بن المسيب : أنزل قوله تعالى ﴿فَأَبَإُتَهُ كَانَ  
لِلْأَوَّلِينَ غَمُورًا﴾<sup>(٣)</sup> الرجل يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب . وقال  
العصمى : قال الله تعالى : بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم . وحذر  
المصنف من أن يذنب عليه عدلهم وقد صلى بن حبيب بن  
حذاف الله أعصم من أن يقوم به العبد ، ولكن أصبحوا قائلين ومبداً قائلين

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر حصته لله ، فوجلت بها  
فيه ، بحيث عرفت في أم الكتاب

ويروى أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل لاذب ، فأوحى الله تعالى إليه ، وعزتي  
لئن عدت لأعذبك . فقال يارب ، أنت أنت ، وأنا أنا ، وعزتك إن لم  
تعصني لأعزدد . فعصمه الله تعالى . وقال بعضهم : إن العبد ليدب الذنب  
فلا يبر ما دام حتى يدخل الجنة . فيقول إبليس : لئن لم أوقعه في الذنب .  
وقال حبيب بن ثابت ، تعرض عن رجوع دينه يوم يقبضه ، فيمر بالذنب  
فيقول : أما إلى قد كنت مشفقاً منه ، قال : فيعفو له .

ويروى أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به ، هل له من توبة ؟  
فأعرض عنه ابن مسعود ، ثم التفت إليه ، فرأى عييه تذرفان . فقال له : إن

(١) الشقرة . الإمهال . والتأجيل . قال رب فانظري إلى يوم يعزود . . . قال فلذلك من  
الخطيئة . [المعبر ٣٧١]  
(٢) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الرشح . . . آجده هذا اللفظ وهو صحيح  
المعنى وهو بمعنى أن السيئات الحسنات معها روف الترمذي وتقدم قرب  
(٣) (٢٠٠) (٢٠٠) (٢٠٠)

لحمة نحية أبواب ، كتب تفتح وتغلق إلا باب توبة ، فإن عنه ملكاً موكباً  
به لا يعثر ، فاعمل ولا تيأس .

وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم تالفاً مع عبد الرحمن توبة بكفر ،  
وقول الله تعالى ﴿إِنْ يَنْتَهَرُوا فَعَفَا عَنْهُمْ مَا قَدْ سَبَّ﴾<sup>(١)</sup> . . . . .  
يكون حسبه عند الله أحسن حالاً . وقد سئل عن توبة من سب كسلاً بعد  
إسلام . وقال عبد الله بن سلام . لا أعتنكم إلا عن بني مرسل ، أو كتب  
مرسل . إن العبد إذا عصى الله بعد عيبه ، سبغ فيه ، سبغ فيه سبغ من  
ضربه عيب . وقال عمر رضي الله عنه . . . . .  
وقال بعضهم أن عصى الله في قبله . . . . .  
آخر من أن آخره توبة خفيف من أن . . . . .  
توبة وتوبها لأحمد

ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عصى الله عشرين سنة ، ثم عصى  
عشرين سنة ثم نصر في مرد هراشي الشيب . . . . .  
بهي أصعب عشرين سنة . ثم عصى عشرين سنة . . . . .  
نفسه ؟ . . . . .  
فركك ، وعصى فميتك . . . . .

وقال ذو النون مكرراً رحمة الله تعالى . . . . .  
نصب روم القلوب ، واستغفر الله التوبة . . . . .  
غير جنون ، وتبلىوا من غير حق ولا بكه ، وأنهم هم البقاء القصصاء ،  
اعرفوا بالله ورسوله . . . . .  
ثم توفيت قلوبهم في سكوت . . . . .  
واستصوا تحت رواق سده . . . . .  
حتى وصلوا إلى غو ارض . . . . .  
وستلأوا حشونه نفع ، حتى ظفروا بحسن سحبه وعزوة سلامة .

(١) (٥٧) لأحد ٣٨

وسرحب رواحهم في العلا ، حتى أنحوا في ربهض سميم ، وحاصوا في بحر الحياة ، وردموا حنادق الحرع وعبروا جسور الهوى ، حتى تزلوا بقضاء العلم ، واستقوا من غدير الحكمة ، وركبوا سفينة العطفة ، وأمسوا بريح الصحة في بحر السلامة ، حتى وصلوا إلى ربهض الراحة ومعذب العز والكرامة . فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فستقبه لا محالة . \*

قَالَ قُلْتُ : أَتَقُولُ مَا قَالَهُ الْمُعْتَرِلَةُ ، مِنْ أَنَّ قَبُولَ التَّوْبَةِ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ ؟  
فَأَقُولُ : لَا أَعْنِي بِمَا ذَكَرْتَهُ مِنْ وَجوبِ قَبُولِ تَوْبَةِ عَنِ اللَّهِ ، إِلَّا مَا يَرِيدُهُ الْفَائِلُ بِقَوْلِهِ إِنَّ التَّوْبَةَ إِذَا غَسَلَ بِالصَّابُونِ وَجِبَ زَوَالُ الْوَسْخِ . وَإِنَّ الْعَطْشَانَ يَدُ شَرِبَ ، وَجِبَ زَوَالُ الْعَطْشِ . وَإِنَّهُ إِذَا مَعَ الْمَاءُ مِلَّةٌ وَجِبَ الْعَطْشُ . وَإِنَّهُ يَدُ دَمٍ انْعَطَشَ وَجِبَ التَّوْبَةُ . وَمِنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَرِيدُهُ الْمُعْتَرِلَةُ بِالْإِجَابَةِ عَلَى اللَّهِ عَنِ اللَّهِ ، مِنْ أَنَّ قَبُولَ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَصَةِ مَكْرَهُهُ لِسَمْعَةِ ، وَحُجَّةٌ مَاجِيَةٌ سَبِيغَةٌ ، كَمَا خُلِقَ الْمَاءُ مَرِيئًا لِلْعَطْشِ ، وَالْقُبُورَةُ مُنْشَعَةً خِلَافَهُ . وَبَسِطَ بِهِ لِمَشِيئَةِ . فَلَا وَاجِبَ عَلَى اللَّهِ عَالِي . وَلَكِنْ مَا سَبَقَ بِهِ يَرَادُهُ الْأَرْتِيَةُ فَوَاجِبٌ كَوْنُهُ لَا مَحَالَةَ . قَدْ قَسْتُ : فَمَا مِنْ تَائِبٍ إِلَّا وَهُوَ شَاكٍ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ وَالشَّارِبُ لِلْمَاءِ لَا يَشْكُ فِي زَوَالِ عَصَتِهِ ، فَلَمْ يَشْكُ فِيهِ .

فَأَمَّا شَكُّهُ فِي الْقَبُولِ كَشَكِّهِ فِي وَجُودِ شُرَاطِئِ الْمَصْحَفِ مِنْ تَوْبَتِهِ أَرَكَانًا وَشُرُوعًا دَقِيقَةً كَمَا سَأَلْتُ ، وَلَيْسَ يَتَحَقَّقُ وَجُودُ هَمِجِ شُرُوطِهَا ، كَالَّذِي يَشْكُ فِي دَوَاءٍ شَرِبَهُ لِلْإِسْهَالِ فِي أَنَّهُ هَلْ يَسْهَلُ ، وَذَلِكَ لَشَكِّهِ فِي حَصُولِ شُرُوطِ الْإِسْهَالِ فِي الدَّوَاءِ ، بِاعْتِبَارِ الْحَالِ وَالزَّمَانِ وَكَيْفِيَةِ خُلُطِ الدَّوَاءِ وَطَبِيعَتِهِ ، وَجُرُودِ عَقَاقِيرِهِ وَأَدْوِيَّتِهِ . فَهَذَا وَأَمثالُهُ مُوجِبٌ لِلْحَوْفِ بَعْدَ التَّوْبَةِ ، وَمُوجِبٌ لِلشَّكِّ فِي فُيُوحَا لَا مَحَالَةَ ، عَلَى مَا سَبَقَ فِي شُرُوطِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



## الركن الثاني

### فيما عنه التوبة وهي الذنوب صفاتها وكبائرها

- بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد .
- بيان ما يتعلق بالعباد ، وما يتعلق بحسب الله تعالى .
- بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الذنوب .
- بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب .



المجلد الأول  
بيان أقسام الذنوب  
بالإضافة إلى صفات العبد

تمهيد وتبينة

اعلم أن التوبة ترك الذنب . ولا يكن ترك الشيء إلا بعد معرفته .

وإذا كانت التوبة واجبة ، كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً .  
فمعرفة الذنوب إذاً واجبة .

والذنوب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى ، في تركه أو فعله .

وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكديت من أوما إلى آخرها ،  
وليس ذلك من غرضنا .

ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها .

والله الموفق للصواب برحته

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة . على ما عرف شرحه في كتاب  
محاسن القلب وغوائله ولكن نتحصر مشيت الذنوب في أربع صفات :

ومثلاً في النفس ولا يصح هنا الميل لثبوتنا تأخره لم يخلق عند تأخره موافق  
لنفسه، بل في الخلق أو في مآله ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخرى  
ترجع إلى حركة وزرعه وعلم والميل الطبيعي أي بما يستوعب الإرادة  
الجارية، والقدرة والإرادة مبدأ سرور الحركة، وهكذا ترتيب في كل  
فعل. ولكن من اختراع الله تعالى. ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض.  
عندئذ يجب تقدم البعض وتأخر البعض، كما لا يخلق الإرادة إلا بعد العلم.

العبارة بقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾<sup>(١١)</sup> وعبر القضاء الكللى الأربى العبارة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾<sup>(١٢)</sup> وأما العباد فإنهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر. ومن حلة القدر خلق حركة في يد الكاتب، بقدر خلق صفة شخصية في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جائز في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمنفعة.

(١٧) القاموس ٤٩

7A

[illegible]

ومن حرك سبيله لأبى - و - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 ارتد عا - سبيله - لأبى - و - ع - ف - ك - ح - و - ع -  
 لا حول إلا الله ، ولا قوة إلا بالله

وَعَلِمَ أَن جَمْعَهُ مِنَ الْمَعْيَبِ وَقَدْ جَعَلَهُ فِي هَيْئَةٍ يُؤْبَىٰ إِلَيْهَا يُدْعَىٰ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ الَّذِينَ لَا يُدْعَوْنَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَئِكَ هُمُ السَّامِعُونَ لِلْكَذِبِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ الَّذِينَ لَا يُدْعَوْنَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَئِكَ هُمُ السَّامِعُونَ لِلْكَذِبِ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ الَّذِينَ لَا يُدْعَوْنَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُولَئِكَ هُمُ السَّامِعُونَ لِلْكَذِبِ

٧ الأضواء



بيان ما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله

فصل ثانی :

(١) دى حبيب الله واپس نالايه دوى بعدن . جديده سند : دى گره سنجيده من جديد عليه (٢) دى  
صندق نوږ دوقم جديده اير هغه خوره سنده مراد مسلمانان ، د دى خبر

$$T^2 = \frac{1}{2} \frac{1}{\omega^2} \left( \frac{1}{\omega^2} + \frac{1}{\omega^2} \right)$$


اللعن <sup>(٦٠)</sup> وقال <sup>(٦١)</sup> : الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة  
يكثرن ما يتهن إن اجتبت الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما يتهن إلا  
الكبائر وقد قال <sup>(٦٢)</sup> : عبد الله بن عمرو بن العاص والكبائر  
الأشراك بالله وغشوق آل الدين وقتل النفس واليمين الغموس .

## تحديد الكبائر من الصفائر

واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر ، من أربع إلى سبع ، إلى تسع ،  
إلى إحدى عشرة مما فوق ذلك . فقل ابن مسعود ، من أربع . وقيل ابن  
عمر : من سبع . وقيل عبد الله بن عمرو . من تسع . وكان ابن عباس إذا بلغه  
قول ابن عمر : الكبائر سبع يقول : من إلى سبعين أقرب منها إلى سبع . وقيل  
مرة . كل ما سئى الله عنه فهو كبيرة وقيل غيره : كل ما أوعده الله عليه بالدر  
فهو من الكبائر . وقال بعض السلف . كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو  
كبيرة . وقيل إنها مبيعة لا يعرف عددها ، كنية القدر ، وساعة يوم الجمعة .  
وقيل ابن مسعود لما مثل بها . اقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية  
مها عدد قومه <sup>(٦٣)</sup> إن فحشوا كبائر ما تهون عنه <sup>(٦٤)</sup> . فكن ما سئى الله عنه في  
هذه السورة إلى حد فهو كبيرة . وقيل أبو صاب ملكي أن الكبائر سبع عشرة ،  
جمعت من جملة الأخيار <sup>(٦٥)</sup> . وحنة ما اجمع من قول ابن عباس ، وابن  
مسعود ، وابن عمر وعزيزه ، أربعة في القسب ، وهي الشرك

(٦٠) التحد ٣ والحمد لصغار الذنوب

(٦١) حديث الصلوات الخمس جمعة من الجمعة كغير ما يبين أن حبس الكبائر سبع من حديث

أبي هريرة

(٦٢) حديث عبد الله بن عمرو الكبائر الأشراك بالله وهو النفس واليمين الغموس ورواه

البيهقي

(٦٣) النساء ٣١

(٦٤) الأحبار الواردة في الكبائر حكى المصنف عن أبي حنيفة ملكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعت من  
جملة الأخيار وحنة ما اجمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم شرك بالله ، والإصرار =

بالله ، والإصرار على معصيته ، والقبوط من رحمة ، والأمن من مكروه . وأربع  
في اللسان ، وهي شهادة الزور ، وقذف العصب واليمين الغموس ، وهي التي  
يحن بها باطلاً أو يطل بها حقاً ، وقيل هي التي يقتطع بها مال امرئ مسلم  
باطلاً ولو سواها من أركان وصحيت غموس لأنها تغمس صاحبها في الدار ،  
والسحر ، وهو كل كلام يغير الإنسان ، سائر الأجسام عن موضوعات  
الحقيقة .

على معصيته ، والقبوط من رحمة ، والأمن من مكروه ، وشهادة الزور . وقذف العصب واليمين الغموس  
والسحر ، وشرب الخمر ، وللعسكر ، وأكل مال اليتيم ضيقاً وأكل الربا ، وزنا والواط ، والقتل ،  
والسرقة والقرار من الزنى ، وعقوق الوالدين ، انتهى وذكر ما ورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها  
في حديث عبد الله بن عمرو ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا سبع الموبقات قالوا  
يا رسول الله ، وما هي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا وأكل  
مال اليتيم ، واشتوى يوم الخوف ، وقذف المحصنات الزنى ، ولها من حديث أبي بكره ألا أتيتكم  
بأكبر الكبائر الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، لو قال قول الزور لها من حديث أنس  
سهل عن الكبائر قال الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقال ألا أتيتكم بأكبر الكبائر : قال  
قول الزور ، لو قال شهادة الزور ، ولها من حديث ابن مسعود سألت رسول الله ﷺ أي قلب  
أعظم ؟ قال أن تفسد ما هو صحتك ، قلت لم أي ؟ قال قد نفلت ذلك فانه أن يعلم محدث غت في  
أي ؟ قل أن ترى حليلة جارك ولطيفاً من حديث سلمة بن قيس إنما هي أربع لا تشركوا بالله شيئاً ،  
ولا تقتلوا نفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا . وفي الصحيحين من حديث عباد بن  
صامت يابسون عن أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا الأوسط للطبراني من حديث ابن  
عبس الخمر أم الفوحش ، وأكبر الكبائر وفيه مرفوعاً عن عبد الله بن عمرو أعظم الكبائر شرب الخمر  
وكلامها ضيف ولينزل من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكبائر قال :  
الشرك بالله ، والإيمان من روح الله ، والقبوط من رحمة الله ، وله من حديث برقة أكبر الكبائر الإشراف  
بالله ، وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ، ومنع الفضل ، وفيه صالح بن حبان ضيف ابن مسعود ، انتهى  
وفي خالد بن يوسف السمين ضيف للطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر  
والعرب بعد الهجرة وفيه ابن وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع  
إلى الأحرارية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأحمري ضيف للطبراني ولينما من حديث حيد ابن عمار من  
أيه الكبائر سبع فذكر منها واستحل البيت الحرام والطبراني من حديث وثقة إن من أكبر الكبائر أن  
يقول الرجل عني ما لم أقل وفيه أيضاً من حديثه إن من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل من ولده ولمسلم من  
حديث جابر بن الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث جابر بن الرجل وبين  
الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والده ولأن  
فلود من حديث سعيد بن زيد من أبى الرية الاستطالة في عرض المسلم بغير حق وفي الصحيحين من



فيه الإطلاقات لا حرج فيها . وما بقا من العطف الصلوة يتردد به هذه الحديث ، ولا يعد تبرئها على هيئ من هذه الاحتمالات . نعم من المحدث أن يعلم معنى قول الله تعالى ﴿ إِنْ تَحْسَبُوا كِبَارًا مَا تُهْزِنُ عَنْهُ ثُكُورُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٢٨) وقول رسول الله ﷺ ، الصَّلَاةُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا الْكِبَارُ ، فإن هذا إثبات حكم الكبار .

## تحديد الغزالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة

والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها . وإلى ما يعلم أنها مملوذة في الصغائر ، وإلى ما يشت فيه فلا يلزم حكمه : فالطمع في معرفة حد حاصر ، أو عدد جامع مانع ، طبع لما لا يمكن فإن دلت لا يمكن إلا باسماع من رسول الله ﷺ ، فإن يقول من أردت بالكبار عشراً ، أو خمساً ، ويفصلها ، فإن لم يرد هذا ، بل ورد في بعض الألفاظ (٢٩) ثلاث من الكبار ، وفي بعضها (٣٠) سبع من الكبار . ثم ورد أن السبعين بالنسبة الواحدة من الكبار ، وهو يخرج عن السبع والثلاث ، علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر . فكيف يعلم أن عدد ما لم يحد الشرع ؟ وربما قصد الشرع إقامته ليكون العباد مه على وجل ، كما أبهم القدر يعظم حد الناس في طلبها . نعم لا سبيل كل يكف أن يعرف به أحاسن الكبار وأنواعها

(٢٨) الساء . ٣١

(٢٩) حديث ثلاث من الكبار . النجاشي من حديث أبي بكره ألا أنيكنم بأكثر الكبار ثلاثاً .

أخبر . وقد تقدم

(٣٠) حديث سبع من الكبار : فيه في الأوسيط من حديث أبي سعيد الكبار سبع وقد تقدم والى الكبير من حديث عبد الله بن عمر من صل الصلوات الخمس وجبت الكبار — الحديث — ثم علني سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث : أنه مبررة بجندوا السبع الموقفات .

بالتحقيق . وأما أعياها فتعرفها بالظن والتقريب . عرف أيضاً أكبر الكبار . فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته .

وبياته أيضاً أنا أعلم بشواهد الشرع وأنور بصائر جميعاً ، أن مقصود الشرائع كلها سياق الحق إلى جوار الله تعالى ، ساعدة لقاته . وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعونة الله تعالى ومعرفة صفاته ، بحبه ورسله ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحَرَّ وَالْبَاسَ إِلَّا بِعِذْرٍ ﴾ (٣١) أي لكون عيذ . ولا يكون العبد عيذاً ما لم يعرف به مبرورية ، ونفسه العودية . ولا بد أن يعرف نفسه وربه . فهذا هو المقصود لأقصى بيعة الأبي . ولكن لا يتم هذا إلا في حياة الدنيا ، وهو المسمى بقوله عبد السلام (٣٢) ، الدنيا مزرعة الآخرة . فحفظ الدين أيضاً مقصوداً منه . فليس ، لأنه وسيله إلى . ومن من الدنيا الآخرة شيئاً . النفوس والأمر . فكل ما يسد باب معرفه الله تعالى فهو أكبر الكبار . وبه ما يسد باب حياة القدس . وبه ما يسد باب تمعش التي بها حياة النفوس . فهذه ثلاث مراتب

محفوظ للمعرفة على القلوب ، والحياة على الأبدان ، والأموال على الأشخاص ، ضروري في مقصود الشرائع كلها . هذه ثلاثة أمور لا يتصور أن يختلف فيها الملل . فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد بيعته بصلاح خير في دينهم وديارهم ، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفه ومعرفة رسله ، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال . فحصل من هذا أن الكبار على ثلاث مراتب .

(٣١) الفاربيات . ٥٦

(٣٢) حديث الدنيا مزرعة الآخرة : لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً . يرى العقيل في الضعفاء وأبو بكر من لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشج تمت النار الدنيا لم يزود منها لآخره الحديث : واستاده صنف .

## المرتبة الأولى من الكبائر (الكفر)

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله، وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر. إذا أحببت الله وحسن العبد هو الجهل. والوسيلة للقرية له إليه وهو الظلم والمعرفة وفهمه بقدر معرفته، ويعد بقدر جهله. ويتلو الجهل الذي يسمى كفرة. الأمن من مكر الله، والقسط من رحمته. فإن هذا أيضاً عين الجهل. فمن عرف الله لم يتصور أن يكون آمناً، ولا أن يكون آيماً. ويتلو هذه الآية الدعاء فيها، الخسفة بدات الله، وصماته، وأعماله. وبعضها أشد من بعض. يدونها عن حسب بدات الجهل بها، وعلى حسب تعلقها بدات الله سبحانه، وبأعماله، وشراعه، وبأوامره، ونواحيه ومراتب ذلك لا تحصر وهي تقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يعلم أنه لا يدخل، وإلى ما يشك فيه، وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع.

## المرتبة الثانية من الكبائر (القتل) ما يتعلق بالنفوس

المرتبة الثانية: النفوس. إذ يبقائها وحفظها تدوم الحياة، وحصل المعرفة بالله. قتل النفس لا محالة من الكبائر، وإن كان دون الكفر. لأن ذلك يصدم عين المقصود، وهذا يصدم وسيلة المقصود. إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للأخرة، والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى.

### قطع الأطراف

وهو هذه الكبيرة قطع الأطراف. وكل ما ينقص إلى هلاك، حتى الضرب. وبعضها أكبر من بعض.

## الزنا واللواط

ويقع في هذه المرتبة تحريم الزنا واللواط، لأن اجتماع الناس على الاكتفاء بالذكر في قضاء الشهوات اقتطع السبل، وجمع الموجود قريب من قطع الوجود. وأما الزنا فإنه لا يموت فصل الوجود، ولكن يشوش الأنساب. ويظهر اسوارث والتناصر وجهة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها. بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا، ولا ينظم أمر لبائهم ما لم يتميز المحل منها بإثبات يختص بها عن سائر الفحول ولذلك لا يصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح. وينبغي أن يكون الزنا في المرتبة دون القتل، لأنه ليس يموت نواته بوجود، ولا يجمع أصله. وبكيفية يموت بغير الأسباب ويحدث من الأسباب ما يكاد يعضى إلى شقائه. ويسمى أن يكون أشد من اللواط، لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين، فثبت وقوعه، ويعظم أثر الضرر بكثرة.

## المرتبة الثالثة من الكبائر (ما يتعلق بالأموال)

المرتبة الثالثة: الأموال. فإنها معاش الخلق. فلا يجوز تسلبه الدس على تناولها كيف شاعوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرها. بل ينبغي أن تحفظ نسق يبقائها سوس إلا أن الأموال إذ أحدثت حتى استردادها، وإن أكلت أمكن تفرغها. فليس يعظم الأمر فيها نعم: إذا جرى تناولها بطريق مصر التدارك له، فغنيبي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق:

### السيرة:

أحدها: الخفية، وهي السرقة. فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك؟

## أكل مال اليتيم :

الثاني . أكل مال اليتيم وهذا نوع من خفية وأعمى له في حق نول واليتيم ، فإنه مؤتمن فيه ، وليس له حصص سوى اليتيم ، وهو صغير لا يعرفه . فتعصم الأمر فيه واحب ، بخلاف العصب فيه ظاهر يعرف ، وبخلاف الحياة في الوديعة ، فإن المودع عصب فيه يتصرف لنفسه .

## شهادة الزور :

الثالث : تمويجها بشهادة الزور .

## اليمين الغموس :

الرابع : أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس<sup>١٢٢</sup> . فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك . ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً ، وبعضها أشد من بعض ، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس .

وهذه الأربعة جديرة بأن تكون مرادة بالكبائر ، وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر القواعد عليها ، وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها .

## أكل الربا :

وأما أكل الربا . فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي ، مع الإخلال بشرط وضعه الشرع . ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله . وإذا لم يحسم العصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه ، وبغير رضا الشرع من الكبائر ، فأكل الربا أكل برصا مثلك ، ولكن دون رص الشرع . وإن عظم الشرع الربا بالحر حره فقد عصب أيضاً الصلح بالعصب وغيره وعظم الحياة . والنصير إن أكل دس بالحياة أو العصب من الكبائر فيه نظر . وذلك واقع في مظنة الشك . وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر ، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما

(١٢٢) الغموس : الكاذبة التي تنسب صاحبها في الإثم ثم في الشر

لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في دين

فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي في القذف ، والشرب ، والسر ، والغرار من الزحف ، وعقوق الوالدين .

## شرب الخمر :

أما الشرب لما يربى العقل ، فهو جدير بأن يكون من الكبائر . وقد ذهب عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضاً لأن من يحتصوه ، كما في العصب محظوظة بل لا يخرج من النفس دون العقل . فربما من الكبائر ولكن هذا لا يخرج في قطرة من الخمر ، فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من خمر لم يكن ذلك كبيرة . وإنما هو شرب ماء خمر . وبقطرة واحدة في عسل الشك . وإيجاب الشرع الحد به حتى تعظم . فبعد ذلك من الكبائر بالشرع . وليس في قوة البشرية وقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع ، وإلا فالتوقف فيه مجال .

## القذف :

وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض . والأعراض دون الأموال في الرية . وتناولها مراتب . وأعظمها تناول بدمس ، بالإضافة إلى فاحشة الرضا ، وقد عظم الشرع أمره . ونفس صاعداً في نصيحة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة ، فهو بهذا الاعتبار لا تكفه الصلوات الخمس ، وهو الذي نريد به الكبيرة الآن . ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع ، ونفاس بمجرد لا يدل على كبره وعظمته . بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العمل الواحد إذا رأى إنساناً يزني ، قلله أن يشهد ، ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته . فإن لم تقبل شهادته فحده ليس ضرورياً في مصالح الدنيا ، وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة حداثته . فبعد هذا أيضاً يجوز بسكتة في حق من عرف حكم الشرع . فثما من ظن أن له أن يشهد وحده ، أو ض أنه يساعده على شهادة غيره ، فلا ينبغي أن يعمل في حق من الكبائر



## السحر :

وقد السحر ، وإن كان فيه كفر فكبره ، لا معصيته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس ، أو مرض ، أو غيره .

## الفرار من الزحف وعقوق الوالدين :

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً يعني أن يكون من حيث النفس في محل التوقف . وبه يصح أن يسب الناس بكل شيء سوى الرب ، وصديه ، وخضعتهم بعض أموره ، وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإحلالهم من أوطانهم . ليس من تكاثر إذ لم يمتد ذلك في البيع عشرة كبيرة ، وهو كبر ما قيل فيه . فسوق في حد أيضاً ثم بعد ، ولكن حديث يدل على تسميته كبيرة فيلحق بالكثرة .

مرد رجع حصل الأمر أن معنى تكبره لا تكبره اصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما اتفق على ما علم أنه لا تكبره قطعاً ، وإلى ما يعني أن تكبره ، وإلى ما يتوقف فيه والمنزلة فيه بعضه مظلون للنهي والإثبات ، وبعضه مشكوك فيه ، وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنة . وإذا لا مطمع فيه ، فطلب رفع الشك فيه حال .

إن قلت : فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدها . فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده .

فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإيهام ، لأن ذلك التكليف في دار الدنيا . والكثرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث إنها كبيرة . بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها ، كالسرقة والزنا وغيرهما . وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها . وهذا أمر يتعلق بالآخرة ، والإيهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر ، فلا يتجرعون على الصلوات اعتقاداً على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصلوات بموجب قوله تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوِّنُ عَنْهُ تُكْفِّرْ عَنْكُمْ

صغائركم ﴾ . ولكن اجتناب الكبيرة إذا يكفر بصغيرة يد اجتناب مع بقائه والإرادة . كمن يتكلم من امرأة ، ومن مواقفه فكيف نفسه من الوقاع ، فيقتصر على نظر أو لمس فإن بحمدته نفسه بالكفر عن الوقاع ، أشد تأثيراً في توبير قلبه من إقدامه على النظر في إطلاعه . فيه معنى تكفيره . فإن كان عباً ، يؤد بكر امتناعه إلا بالضرورة للمعسر أو كان قادراً ولكن امتنع لحرف أمر آخر ، فهذا لا يصنع بشكرك أصلاً وكل من لا يشتهي حمر بطيخه ، ولو أبيع له لما شربه ، فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته ، كسماع الملاهي والأوتار . نعم : من شتهي الحمر وسماع الأوتار ، فيمسك نفسه بأعذوبة عن حمره ويطلقها لسماعه ، فمعهده نفس بالكفر . رد فمحور عن قبه الضمة التي ارتفعت به من معصية السماع .

فكل هذه أحكام أخروية ، ويجوز أن يبقى حجب في محل الشك ، وتكون من مشبهات ، فلا يعرف تعصيلها إلا بالنص . . . يرد نص بعد ، ولا حد جامع ، بل ورد بأعطاء محتمات . فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : « الصلوة إلى الصلاة كخزاة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وتلك السنة ونكت الصلوة » قيل ما ترك السنة ؟ قيل الخروج من الجماعة ، ونكت الصلوة أن يبيع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقتله . فهذا وأمثاه من الأعداء لا يتغير بالعدد كنه ولا يدل على حد جامع ، فيبقى لا محالة مبهماً .

فإن قلت الشهادة لا تصل إلا لمن يجنب الكبائر ، والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة ، وهذا من أحكام الدنيا ، فاعلم أنا لا نخص رد الشهادة بالكبائر . فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ، ويلبس الديباج ، ويتحتم بخاتم الذهب ، ويشرب في ألوان الذهب والمصبة ، لا تقبل شهادته ، ولم

(٧٤) فاء ٣١

(٧٥) حديث الصلاة في الصلاة كخزاة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشتراك بالله وبرك السنة ونكت الصلوة - الحديث . يخاتم من حديث أبي هريرة نحوه . وقال صحيح الاسناد

يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من كثر دون لشعبي رضى الله عنه : يد  
شرب الخمر البهيمية حدته ، ولم أورد شهادته . فقد جمعه كبره بمرحله أحد ،  
ولم يرد به الشهادة . فدل على أن الشهادة نقياً وبشر لا تور عن صغائر  
والكبار . بل كل الذنوب تندح في العدالة ، إلا ما لا يخفى الإنسان عنه غالباً  
بضرورة مجارى العادات ، كالعبية ، والتجسس ، وسوء الفتن ، والكذب في  
بعض الأقوال ، وسماع البقية ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأكل  
الشبهات ، وسب الولد والعلام ، وضربها بحكم المصعب زانياً على المصلحة ،  
وإكرام السلاطين الظلمة ، ومصادقة الفجار ، والتكامل عن تعليم الأهل  
والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين . فهذه ذنوب لا يتصور أن يمتنع  
الشاهد عن قلبها أو كثورها إلا بأن يتزل الناس ، ويحذر لأمر الآخرة ،  
ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على صيته مع المبالغة بعد ذلك . ولو لم يبق إلا  
قول مثله لعم وجوده ، وبعثت الأحكام . والنهارات . وليس ليس الحرير ،  
وسماع الملاهي ، والعبه بالتردد ، وبجائسة أهل الشرب في وقت الشرب ،  
والخوة بالأجنبيات ، وأمثال هذه الصغائر من هذا القليل . قال في مثل هذا  
المنهج ينبغي أن ينظر في قبول الشهادة وردّها ، لا إلى الكثرة والصغرة .  
ثم أحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واطب عليها لأثر في رد  
الشهادة . كمن اتخذ البقية وثلب الناس عادة . وكذلك مجالسة الفجار  
ومصادقتهم . والصغرة تكبر بالمواظبة ، كما أن المباح يصغر بالصغرة بالمواظبة  
كاللعب بالشطرنج ، والترجم بالساء على القوام وغيره . فهذا بيان حكم الصغائر  
والكبار .



### المحل الثالث

## بيان كيفية توزيع الدرجات والمدرجات في الآخرة على الحسنات والنسيئات في الدنيا

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة . والآخرة من عالم العيب  
والملكوت . وأغنى بالدنيا حالتك قبل الموت ، والآخرة حالتك بعد الموت .  
فدنياك وأخرك صفاتك وأحوالك يسمى القرب الدال منها دنيا ، والمتأخر  
آخرة . ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة بما الآن نتكلم في الدنيا وهو  
عالم الملك ، وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم سكوت

ولا يتصور شرح عالم سكوت في عالم الملك لا بصرف الأمان . ولذلك  
قد نص في **« وَتِلْكَ الْأَنْفَالُ تُضْرِبُونَ لِلنَّاسِ وَدُفَعَتْهُمُ إِلَى الْغَالِمُونَ »** <sup>٧٦</sup>  
وهذا لأن عالم الملك يوم بالإضافة إلى عالم العيب . وبذلك قد <sup>٧٧</sup>  
« النَّاسُ يَوْمَ قَادًا فَأَتَوْا أَتَوْا السَّهْوًا » وما سيكون في ليقطة لا يتبين لك في اليوم ،  
إلا لأمتن ، وصحوة إلى التعبير ، فكذلك ما سيكون في بقية الآخرة لا يتبين في  
يوم الدين إلا في كثرة الأمتان . وعنى بكثرة الأمتان ما يعرفه من علم لغيره .

وبكيفية منه إن كنت مفضلاً ثلاثة أمتة . ضد جاء رجل إلى ابن مسعود  
فقال رأيت كذا في يدى حاتم أنخم به أهواه لرجل وعروج النساء فقال  
بك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر . قل صدقت . وجاء رجل آخر  
فقال : رأيت كأنى أصيب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحت حذيرة  
أشربت مفضلاً عن حالها ، فإنها أمك سببت في صغرك ، لأن الزيتون أصل

(٧٦) التنبؤات - ٤٣ .

(٧٧) حديث الناس يوم قتل ما أتوا السهوا : لم أجدته مرفوعة وإنما جرى إلى عن ابن أبي طالب .

الزيت . فهو يرد إلى الأصل . فنظر هنا جاريته كانت أمه ، وقد سببت في صبره . وقال له آخر : رأيت كأي أفلد الدار في أعالي الخنازير . فقال إنك يبعث الحكمة غير أهلها ، فكأن كما قال .

واستعمل من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال . وإنما نسي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجد صادقاً . وإن نظر إلى صورته وحده كادماً . فنؤيد إن نظر إلى صورة الخاتم . والحكم به هل الفروج رآه كادماً . فإنه لم يعم به مص . وإن نظر إلى معناه وجد صادقاً ، إذ صبر منه روح الختم ، ومعناه ، وهو الختم الذي يراد الختم له . وليس للأبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال ، لأنهم كانوا أن يتكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقدر عقولهم أسهم في النوم ، والناس لا يكشف له عن شيء إلا بمثل ، فإذا ما تروا نسبوهم وعزموا أن المثل صادق . وذلك قال ﷺ (٧٨) : قُلْتُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْبَحِينَ مِنْ أَصَابِعِ الرَّخْمِينَ ، وهو من المثل الذي لا يعقله إلا العالمون . فأما الجاهل فلا يجاور قدره ظاهر المثلان ، لجهله بالتمثيل الذي يسمى تأويلاً ، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تمييزاً ، فثبت لله تعالى هذا وأصبحاً ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

وكذلك في قوله ﷺ (٧٩) : إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَنْ صُورَتِهِ ، فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل وعينه ، فثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

ومن هنا زل من زل في صفات الإلهية ، حتى في الكلام ، وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات ، والقول فيه يطول .

وكذلك قد يرد في أير الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملعن ، بمجمود نظره هل ظاهر المثل وتنقصه عنه كقوله ﷺ (٨٠) : يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي

(٧٨) حديث قلب المؤمن بين أصابع الرحمن : تقدم

(٧٩) حديث أن الله خلق آدم على صورته : تقدم

(٨٠) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كجش أملح فيذهب . . . من حديث أبي سعيد .

صُورَةً كَجَشٍ أَمْلَحٍ فَيَذْبَحُ ، فيثورة الملعن الآخر يكذب ، ويستدل به على كذب الأبياء ويقول : يا سبحان الله - الموت عرض ، والكجش جسم ، فكيف ينقلب العرض جسماً هل هذا إلا محال ؟ ولكن الله تعالى عز وجل هؤلاء الخلق عن معرفة أسرارهم فقال (٨١) : زُيِّنَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنَ الشَّيْءِ لِيُحْكَمَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُمْ يَسْمَعُونَ . ولا يدري المسكين أن من قال : رأيت في منامي أنه جيء بكجش ، وقبل هذا هو الوباء الذي في الهند ، وذهب ، فضل المعبر . صدقت : والأمير : رأيت ، وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبح وقع بين من ، فإذا المعبر صادق في تصديقه . وهو صادق في رؤيته . ونرجع حصته ذلك إلى أن موكل بالرؤيا ، وهو الذي يطلق الأرواح عند النوم على ما في النوح المصنوع ، عرته بما في النوح المصنوع مثال صبره به لأن الناس إنما يحسن مثال فكان مثاله صادقاً ، وكان معناه صحيحاً .

فالرسل أيضاً يتكلمون الناس في الدنيا ، وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة ، حكمة من الله ، ولطفاً بعباده ، وتيسيراً لإدراك ما يصحزون عن إدراكه دون ضرب أمثال . فقله يؤتى بالموت في صورة كجش أملح ، مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد حبلت القلوب على الأثر بالأمثلة ، وثبت تعالى فيها بواسطة . ولذلك عبر القرآن بقوله (٨٢) : كُنْ فَيَكُونُ . من نهاية النسخة ، وعبر ﷺ ، بقوله : قُلْتُ الْمُؤْمِنِينَ أَصْبَحِينَ مِنْ أَصَابِعِ الرَّخْمِينَ ، عن منعة التقلب وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع الصادات ، فلنرجع الآن إلى العرض

فالمقصود أن تعريف تورع الدرجات والدركات على الحسنة والسيئة ، لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته ، فقول :

(٨١) العنكبوت ١٣

(٨٢) من ٨٢

من في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتفاوتت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والتفاوت في السعادة لا يدخل تحت الحصر ، كما تفاوتوا في السعادة الدنيا وشقاوتها . ولا تفارق الآخرة في هذا المعنى البتة . فإن مذهب الملك والملوك واحد لا شريك له ، وسنة الصادرة عن إرادته الأثرية مطردة لا تبدل لها ، إلا أن ابن عجيبة عن إحصاء آحاد المرحاب ، فلا يعجز عن إحصاء الأحرار من

## أقسام الناس في الآخرة

الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم ، فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلع بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون . فإن كان الملك عادلاً ، لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة . ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته . ولا يخلع إلا معترفاً له برتبة الملك ، لكنه لم يقصر ليعذب ولم يقدم ليخلع عليه . ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة . ثم ينبغي أن تكون صلح الفائزين مساوية الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة ، وإعلاء الهالكين إما تحقيراً بحر الرقبة ، أو تنكيلاً بالمشة ، بحسب درجاتهم في المعانة ، وتعذيب المعذبين في الخدمة ، والشدة ، وطول المدة وقصرها ، واتحاد أنواعها واختلافها ، بحسب درجات تقصيرهم .

فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر . فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون . فمن هالك ، ومن معذب مدة ، ومن ناج يخل في دار السلامة . ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يخلون في جنات عدن ، أو جنات المأوى أو جنات الفردوس . والمعذبون

ينقسمون إلى من يعذب قليلاً ، وإلى من يعذب ألف سنة إلى مئة آلاف سنة ، وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الحديث (٨٢) . وكذلك الهالكون الأيسر من رحمته الله تتفاوت درجاتهم . وهذه المراتب بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي ، فلذلك كيفية توزيعها عليها رتبة الهالكين :

الرتبة الأولى : وهي رتبة الهالكين . وهي بائس من البائسين من رحمته الله تعالى ، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربه آيس من رضا الملك وإكرامه ، فلا تغفل عن معاني المثل . وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين ، المتجردين للدنيا ، المكذبين بالله ورسمه وكتبه . فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والظفر إلى وجهه ، وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يمر بها بالإيمان والتصديق . والجاحدون هم مكرون . والمكذبون هم الأيسر من رحمته الله تعالى أبد الآباد ، وهم الذين يكذبون برب العالمين ، وأنيابهم المرسلين ، إنهم عن ربه يومئذ لمحبوبين لا محالة ، وكل محبوب عن محبوبه فمحلول بينه وبين ما يشبهه لا محالة . فهو لا هيلة يكون مختزلاً لرجهتهم بدار الفراق . ولذلك قال العارفون : ليس خوفنا من نار جهنم ، ولا رجائنا من المحور العين ، وإنما مطلبنا اللقاء ، ومهربنا من الحجاب فقط ، وقالوا : من يعبد الله بموض فهو لهيم ، كأن يعبده لطلب جنته . أو الخوف منه بل العارف يعبده بداته . فلا يعذب إلا دانه فقط . فدا المحور العين والعبادة ، فقد لا يشتهيها . وأما النار ، فقد لا يتقها . إذ ناز الفراق إذا استولت ربما غلت النار المحرقة للأجسام . فإن ناز الفراق ناز الله الموقدة ، التي تطلع على الأقدار . ونار جهنم

(٨٢) حدث أن آخر من يخرج من النار يعذب مئة آلاف سنة : الفردوس يشك في يوم القيامة من ١٠٠ ألف مرة . حديث قال فيه وأطروهم سكباً فيه حل الدنيا من يوم غلبت إلى يوم القيامة وذلك مئة آلاف سنة .

لا شغل لها إلا مع الأجسام ، وألم الأجسام يستحق مع ألم الفؤاد ، ولذلك قيل :

وفي فؤاد الحب نار جوى أحمر فار الجميع أبردها

ولا ينبغي أن يتكرر هذا في عالم الآخرة ، إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا ، فقد روى من غلب عليه الوجد فعدا على النار ، وعلى أصول القصب المجارحة للقدم ، وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه . وترى الغصبان يستولى عليه الغضب في القتال ، فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بهلق الحال ، لأن الغضب يورث الغضب . قال رسول الله ﷺ : **الغضب قطعة من النار** ، واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الأجساد ، والأشد بطل الإحساس بالأضعف كما تراه ، وليس فلاك من الدار والسيف ، إلا من حيث إنه يفرق بين جزأين . يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام . فالذى يفرق بين القلب وبين عيوبه لدى يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام ، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أبواب البصائر وأرباب القلوب . ولا يبعد أن لا يترك من لا قلب له شدة هذا الألم ، ويستحقه بالإضافة إلى ألم الجسم . فالصبي لو غمر به ألم الحرمان عن الكرة والصولجان . وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان ، لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ، ولم يعد ذلك لما ، وقال . العنود المبداء مع الصولجان ، أحب إلي من ألف سرير لسلطان مع الخنوس عليه . بل من تعلبه شهوة البطل . ورحم بين شهوة وحبوة ، وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ، ويفرح به الأصدقاء ، لأثر الشهوة والخلوة .

وهذا كله لفقد المعنى الذى بوجوده يصير الجاه محبوباً ، ووجود المعنى الذى بوجوده يصير الطعام لذياً . وذلك لمن استرقته صفات اليأس واليأس ، ولم تظهر فيه صفات اللاتكدة التى لا يناسبها ولا يلائمها إلا القرب من رب العالمين ، ولا يؤمنها إلا البعد والاحباب . وكما لا يكون النوى إلا فى السان .

(٨٤) حديث الغضب قطعة من النار . فخرى من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

والسمع إلا فى الآذان ، فلا تكون هذه الصفة إلا فى القلب . من لا قلب له ليس له هذا الحس ، كمن لا سمع له ولا بصر له . لفة الأذن ، وحس الصور والأنوار . وليس لكن إسد قلب . وإن كان له صح فوله تعالى **فإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** (٨٥) . من م يتذكر بانقران معاً من القلب . وليت أعتى بالقلب هذا الذى تقسمه عظام الصدر ، بل أصبى به السر الذى هو من عالم الأمر . وهو اللحم الذى هو من عالم الخلق حرشه ، والصدر كرسية ، وسائر الأعضاء عائله وملاجه والله الخلق والأمر جميعاً . وبكى ذلك السر ليدى قال الله تعالى فيه **فقل لروح من أفرزنى** (٨٦) . هو الأمر والمملك : لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق نيباً ، وعالم الأمر أمر على عالم الخلق وهو اللطيفة التى إذا صلحت صلح سائر الجسد ، من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه

وعند ذلك يشم العبد مبادئ ورائح المعنى المطوى تحت قوله **وإن الله خالق آقم على صورته** ، ونظر بعين الرحمة بين الحاملين له على ظاهر لفظه ، وإلى المتعسفين فى طريق تأويله وإن كانت رحمة للحاملين على اللفظ أكثر من رحمة للمتعسفين فى التأويل لأن الرحمة على قدر المصيبة ، ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا فى مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر . فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . وهو حكمته يختص بها من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

ولنعد إلى الغرض ، فقد أرغبنا الطول وطولنا النفس ، فى أمر هو أجل من علوم المعاملات التى تقصدها فى هذا الكتاب . فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله ورسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر ، فلذلك لم نوردنا .

الرتبة الثانية : رتبة المذنبين . وهذه رتبة من غلب بأصل الإيمان ، ولكن قصر فى الوفاء ، فإن رأس الإيمان هو التوحيد ، وهو أن لا يعبد إلا الله . ومن

اتبع هواه فقد اتعد إليه ، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة . بل معنى قولك لا إله إلا الله ، معنى قومه تعالى ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾<sup>(٨٧)</sup> وهو أن تدرك الكلية غير الله ، ومعنى قومه تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾<sup>(٨٨)</sup> وما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من سحر ، وأحد من السيف ، مثل الصراط الموصوف في الآخرة ، فلا يهلك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير ، إذ لا يخلو عن قباح الهوى ولو في أمر قليل ، وذلك قادح في كمال التوحيد ، بقدر ميله عن الصراط المستقيم . لذلك يقتضى لا محالة نقصاناً في درجات القرب ، ومع كل قصار ناراً : ناز الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ، ونار جهنم كما وصفها القرآن . فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجع ، ولكن شدة ذلك العذاب وحسنه ، وتفاوته بحسب طول امدته ، إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلة .

وإذ لا يخفى بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين ، قال الله تعالى ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِيْرَادُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حُتْمًا مَقْصُومًا ثُمَّ لَنُنْصِيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَلْزَمُ الظَّالِمِينَ فِتْيًا ﴾<sup>(٨٩)</sup> ولذلك قال المخالفون من السلف ، إنما خوفنا لأن نبتأ لنا على النار وردود ، وشككنا في السجدة . وما روى الحسن الخضر الوردي<sup>(٩٠)</sup> فحين يخرج من النار بعد ألف عام . وأنه ينادى يا حنان يا منان . قال الحسن : يا ليتنى كنت ذلك الرجل

وأعلم أن في الأخبار ما يدل على أن أبخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة ، وأن الاختلاف في امدته بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة ، حتى قد يبرز بعضهم على النار كبرق خاطف ، ولا يكون له فيها لبث . وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة ، من اليوم ، والأسبوع ، والشهر ، وسائر المدد .

(٨٧) الأسماء : ٩١ (٨٨) فصلت : ٣٠ (٨٩) مريم : ٧١ ، ٧٢ (٩٠) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادى يا حنان يا منان : أحمد وأبو يعلى من رواية أبي قتادة السلمي عن أنس وأبي قتادة السلمي وأبي حمزة ميمون

وير الاختلاف بالشدة لا بهاية لأعلاه ، وأدناه . بحيث يندم في الحساب ، كما أن المثل قد يعذب بعض المتقصرين في العمل بالداخنة في الحساب ، ثم يعمو . وقد يضرب بالسياط ، وقد يعذب به آخر من العذاب .

ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة ، وهو اختلاف لأبواب إذ ليس من يعذب بمصادرة مثل فقط . كمن يعذب بأخذ المال ، وقيل الولد واستباحة الحرم ، وتعذيب الأقارب ، وعصيان ، وقطع اللسان ، واليد ، والأف ، والأذن وغيره . فهذه الاختلافات تنسب في عذاب الآخرة ، لا سيما فواضع شرع . وهي حسب اختلاف قوه . . . وضعفه . . . كرهه . . . تصدق . وقتب . . . كثرة نسيب وقتب .

أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكبرها . وأما كثرة فبكثرتها . وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات . . . انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان ، وهو المعنى قوله تعالى ﴿ وَمَا وَدَّكَ بِظُلَامٍ لَّعِينٍ ﴾<sup>(٩١)</sup> ويقول تعالى ﴿ لِيَوْمَ تَجْرَى نُهُرٌ مِمَّا كُتِبَتْ ﴾<sup>(٩٢)</sup> ويقول تعالى ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾<sup>(٩٣)</sup> ويومره تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾<sup>(٩٤)</sup> إلى غير ذلك مما ورد في الكتب وسه . من كون العقاب . . . حراراً على الأعمال . . . وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه . وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبياً عليه السلام<sup>(٩٥)</sup> « مَبْتُحٌ رَحْمَتِي غُضْبِي » وقال تعالى ﴿ وَإِنْ لَكَ حَسَنَةٌ فُضَاعِلُهَا وَتُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٩٦)</sup> فإذا هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات ، معبومة بقواطع الشرع ونور المعرفة فأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً . ومستنده ظواهر الأخبار وبوع حذس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الأخبار .

(٩١) فصل : ١٦ (٩٢) طه : ١٢ (٩٣) مريم : ٣٩ (٩٤) الفرقان : ٨٠ ، ٨١ (٩٥) حديث سفيان روى عنه : مسلم من حديث أبي حمزة (٩٦) النساء : ٤٠

فقول كل من أحكم أصل الإيمان، واجتنب الخبيث الكبار، وأحسن جميع  
 الفرائض، أعنى الأركان الخمسة، ولم يكن منه إلا صلاته مصرفة لم يصرف  
 عيب، فينبه أن يكون عذبه المصفاة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب  
 رحمت حالته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس،  
 وجمعة وصوم رمضان، كفرت ما بين. وكذا احتساب لكثير بحكم  
 بعض القرآن مكفر للصغائر. وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع  
 الحساب. وكل من هذا حاله فقد تفتت مواريه فينبى أن يكون بعد ظهور  
 الرجحان في الميزان، وبعد الفراغ من الحساب، في عيشة راضية. نعم:  
 لتعاقبه بأصحاب الجن، والمقربين، وغروله في جنات عدن، أو في الفردوس  
 الأعلى، فكذلك يتبع أصناف، لإيمره، لأن الإيمان يمدد. تقبدي كبرياء  
 العوام، يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشمى يحصل  
 بانسراح الصدر بتور الله، حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه  
 متفتح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى  
 وصفاته وأفعاله. فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم  
 على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون،  
 ومنهم من دوسهم، وتعاونهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى؛ ودرجات  
 العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنهه جلال الله غير  
 ممكنة، وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق، وإنما يفرغ فيه الغواصون بقلوب  
 قواهم، ويقدر ما سبق لهم من الله تعالى في لأر. دهرق رب الله تعالى  
 لا نهاية لمازله فالساكون سبيل الله لا نهاية لفرجاتهم.

وأما المؤمن إيماناً تقديماً من أصحاب الجن. ودرجته دون درجة  
 المقربين. وهم أيضاً على درجات. فالأعلى من درجات أصحاب الجن تقارب  
 رتبته رتبة الأعلى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكبائر، وأدى  
 الفرائض كلها. أعنى الأركان الخمسة، التي هي النطق بكلمة الشهادة  
 باللسان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر، أو أهمل بعض أركان الإسلام. فإن تاب

توبة نصوحاً قبل قرب الأجل، التحق به. يرتكب. لأ. نائب من الذنوب  
 كمن لا ذنب له والذنوب المصولة كاللحم. عوسج أصلاً.

وإن مات قبل التوبة، فهذا أمر يخطر على لوت. إذ ربما يكون موته هل  
 الإصرار سبباً لتزول إيمانه، فيختم له به. تحتاجه لاسمياً إذ كان إيمانه  
 تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزءاً فهو في العمل بأدلى شك وخيال  
 والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء. كلاهما إن ماتا على الإيمان  
 بعدان، إلا أن يعرف الله، عذاباً على حساب ردة في الحساب. ونكون كثرة  
 العقاب من حيث المدة، بحسب كثرة ما لإصرار. ومن حيث الشدة،  
 بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف. ع. بحسب اختلاف أصناف  
 السيئات. وبعد انقضاء مدة الحساب في البلد المقتلون في درجات  
 أصحاب الجن، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين. ففي الخبر (٩٧) وأما  
 من يخرج من النار يغطي مثل الثياب كلب مبرية أصناف، فلا تنص أن المراد  
 به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كذا. بل فرسخ بفرسخين، أو عشرة  
 بعشرين، فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال. بل هذا كقول القائل: أحد  
 منه جهلاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل مائة عشرة دانير، فأعطاه مائة  
 دينار. فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في النور. تنقل، فلا تكون مائة دينار لو  
 وصحت في كمة الميراث، والجمل في الكفة لأخرى، عشر عشرة. بل هو  
 موازنة صفات الأجسام وأرواحها، دون أشخاصها وهياكلها، فإن الجمل  
 لا يقصد لشكله، وطوله وعرضه ومساحته، بل لمابه مروحه المالية،  
 وجسمه اللحم والدم، ومائة دينار عشرة أمه، بالموازنة الروحانية، لا بالموازنة  
 الجسمانية. وهذا صادق عند من يعرف روحانية من الذهب أو الفضة من  
 لو أعطاه جوهرة وربما مثقال، وقيمتها مائة دينار، وقال أعطيتك عشرة أمثاله  
 كان صادقاً. ولكن لا يدرك صفته إلا جوهرية. فإن روح الجوهرة  
 لا تترك بمجرد البصر، بل بغضنة أخرى وراء البصر. فذلك يكذب به

(٩٧) حديث إن من يخرج من النار يغطي مثل الثياب كلبها عشرة أصناف: ينطق عليه من حديث  
 ابن مسعود.





والتصدي لكل إليه ، إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل  
سفل . وحدث قل تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذُ الْمُخْرُجُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ  
رَبِّهِمْ ﴾ . من ألبهم عند ربهم إلا أنهم مكوسون . قد انقلب وجوههم إلى  
أفقيهم وانتكست رءوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل ، وذلك حكم الله  
فيمس حرمة توفيقه ، ولم يده طريقه ، فعمود بالله من الضلال ، والبرول إلى  
سازل الجهال

فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ، ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو  
أكثر . ولا يخرج من النار إلا موحد . ولست أعنى بالتوحيد أن يقول بلسانه  
لا إله إلا الله ، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة ، فلا يسمع إلا في عالم الملك ،  
فيضع السيف عن رقبته ، وأيدي الغائبين عن ماله ، ومدة الرقبة والمال مدة  
الحياة . فحيث لا تبقى رقبة ولا مال ، لا يسمع القول باللسان . وإنما يسمع  
الصدق في التوحيد . وكال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله وعلامته  
أن لا يعصب عن أحد من الخلق بما يجري عليه ، إذ لا يرى الوسائط ، وإنما  
يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل . وهذا الحيد مصبوت . فمن  
الناس من له من التوحيد مثل الجبال ، ومنهم من له مثقال ، ومنهم من له مقدار  
خرقة وحرة . فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان ، فهو أول من يخرج من النار .  
وفي الخبر يقال <sup>(١٠٢)</sup> « أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ دِينَارٍ مِنْ إِيْمَانٍ »  
وآخر من يخرج من في قلبه مثقال درة من إيمان . ومن بين المثقل والبدية على  
قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقل وبين طبقة الدرة . والموازنة  
بالمثقل والدرة على سبيل ضرب المثل ، كما ذكرنا في موازنة بين أعين الأموال  
وبين النقود . وأكثر ما يدخل الموحدين النار مقام العباد . فديوان العباد هو  
الدعوان الذي لا يترك . فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها . فمن  
الأثر أن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى ، وله من الحسنات أمثال الجبال <sup>(١٠٣)</sup> ثم  
سلكت له لكاد من أهل الجنة ، فيقوم أصحاب المظالم ، فيكون قد سب عرض

(١٠٢) السجدة

(١٠٣) حديث أخرجه من النار في قلبه مثقال دينار من إيمان - الحديث تقدم

هذه . وأحد من هذه ، وحسب هذا فيشتغل بحسابه حتى لا يبقى له  
حصة ، فتقول ملائكة بارئ هذا قد جرد حسابه ، وبقي صبور كبير  
فقول الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ سِجِّينَ ﴾ . وحسبوا له حسناً إلى النار  
وكا بهلك من سبب غيره بصرخ القصاص فكذلك ينجز المظلول حصة  
عدم ، إذ يصح فيه عفو عما صدر به . وفي كفى عن ابن الجلاء ، أن بعض  
أخوته عتبه . ثم أرسى إليه يسحه . فقل : لا أعمل ليس في صحيفتي  
حسنة أفضل منها فكيف يحبه ؟ وقال : وعيره : ذنوب إخواني من  
حسابي . يد أن أرسى بها صحيفتي .

فهذه مآزداً ذكره من اختلاف العبد في لمعاد في درجات السعادة  
وسوءه . وكل ذلك حكمه من سبب ، وهي حكم الصيب على مريض  
شبه يموت لا محالة لا يسر علاج . وعلى من آخر بأن عارضة تخفيف  
وعلاجه حين . فحدث ض ينسب في أكد لأحوال . ولكن قد تنوق إلى  
المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر العيب ، وقد يساق إلى دى  
العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه . وحدث من أمر رب الله تعالى  
الحقبة في أرواح الأحياء وعموض الأسباب في رتبها مسبب الأسباب بقدر  
معوم . إذ ليس في قوة البشر الوقوف على دنها ، فكذلك الحجة والبرز في  
الآخرة لما أسباب خفية ، ليس في قوة البشر الاطلاع عليها . يعبر عن ذلك  
السبب الخفى المفقى إلى التحفة بالعمو ورضا ، وعما يعصى إلى الهلاك  
بالمعصب ولا يتم . ووراء ذلك سر المشقة لإتية الأريّة ، التي لا يصع الخلق  
عليها . فذلك يجب عليها أن تجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته  
الظاهرة ، والنقص على المطيع وإن كثرت سيئاته البظاهرة . من الاعتماد على  
لتعوى بالتقوى لا تقب . وهو أغمض من أن يطبع عليه صاحبه ، فكيف  
غيره ! ولكن قد اكتشف لأسباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفى  
فيه يقتضى العفو ، ولا غصب إلا بسبب يرضى الله تعالى .  
ولولا ذلك لم يكن العفو والغصب جزاء على لأعمال والأوصاف ، ولو لم يكن  
جزاء لم يكن عدلاً ، ولو لم يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى ﴿ وَمَا زُنْتُ بِظُلْمٍ ﴾



البحر عنه في هذا العلم . فهو الذي أحله قومه تعالى ﴿ قَلَّا نَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١١) وقوله عز وجل أعددت للعاصي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . والعارفين مطيعهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور ، والقصور ، والفاكهة واللبن ، والعسل والخمر ، والحنى والأساور ، فإيهم لا يحرصون عليها ، ولو أعطوها لم يقموا بها . ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم ، فهي غاية السعادات ، ونهاية اللذات ولذلك قيل لراحة العبدية رحمة الله عليها : كيف رغبتك في الجنة ؟ فقالت الجارية الدار . فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار ورغبتا ، بل عن كل شيء سواه ، حتى عن أنفسهم . ومثاقم مثال العاشق المستتر بمشوقه ، المسترق همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه ، فإنه في حال الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه

في بلد ويحس من هذه الحالة بأنه في عن نفسه . ومما أنه صار مستغرقاً بغيره ، وصارت محبته هي واحداً وهو محبوبه ، ولم يبق فيه متسع لمحور محبته حتى بلغت إليه ، لا لنفسه ولا غير نفسه . وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر ، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والأحزان على قلب الأصم والأكمه ، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك حاله ، ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته ، فالدنيا حجاب على التحقيق ، وبرغمه يكشف العطاء ، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة ، وأن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون .

بهذا القدر كاف في بيان تدرج الدرجات على الحسنة ، والله الموفق بلطفه .



## الفصل الرابع بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب : منها الإحسان والمواظبة . وذلك قيل لا صغيرة مع إصرار ، ولا كبيرة مع استغفار . فكبيرة واحدة تنصهر (١١) ولا يقيمها مثله لو تصير ذلت ، كان الصغائر أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها . ومثال ذلك قطرات من الماء تقع من الحجر على قوال متوثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة يمتزج . ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الْأَعْمَالِ أَقْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّتْ » . أي شيء تستبان بأخذها . وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل ، فالصغائر المنصهر قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره ، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام النفس .

إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بعد من غير سواها ولو اهتم من جملة الصغائر قلما يزدى للزنى بختة من غير مبلوذة ومقدمات . وقيلما يقتل بختة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة . فكذلك كبيرة تكتمها صغائر سابقة ولا حقة . ولو تصورت كبيرة وحدها بختة ، وبعق إليها هود ، رى كان المعو بها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عنه .

(١١١) تنصهر بمعنى

(١١٢) حديث غير الأعمال لومها وقد قيل : من عرف قلبه من حيث فاشه بالقلب أحب وقد تقدم



## إعلان الذنب

ومب أن يأتي أحد ويصهره ، ثم يذكره بعد إنبائه أو يأتيه في مشهد غيره ، فإن ذلك حذية مع علي سر لله مدى مدته <sup>١٦</sup> عليه ، وتحريك لرعية الشرف في شجعه معه ، أو تشهد معه فيما حباها انصبت إلى جانيه . فمضت به ، فإن انصرف إلى ذلك اشرب سحر فيه والخمس عليه ، وعنده الأسباب : صارت حذية رابعة . ومعنى الأمر في الخبر <sup>١٧</sup> « كُنْ النَّاسَ مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ يَبِيتُ أَحَدُهُمْ عَلَى ذَنْبٍ قَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيُخْبَرُ فَيَكْتُمُ سِرَّهُ اللَّهُ وَيَتَحَدَّثُ بِلَدِّهِ » وهذا لأن من صدق الله وبعمه أنه يظهر خمين ويسر نقيح ، ولا يبيت ستر بالإظهار كمرام هذه العامة . وقد بعضهم لا يبيت في مكان ولا يدعلا ترعب عمره فيه فذلك دبير . ولذلك قال تعالى ﴿ الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنَكْرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ <sup>١٨</sup> وقد بعض السلك . ما تنهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعد على معصية ، ثم يهونها عليه .

ومنها أن يكون المذهب علماً يقتدى به، فإذا جمعه بحيث يرى ذلك منه كبر  
ذبه كليش العالم الإبرهيم، وركوبه مراكب الذهب، وأخذته مال الشبهة  
من أموال السلاطين، ودخوله على السلاطين، وتردده عليهم، ومساعدته  
لإياهم بترك الإنكار عليهم، وإطلاق اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في  
المناظرة، وقصده الاستحفاف، واشتغاله من العيون بما لا يقصد منه إلا الجاه،  
كعلم الجسد والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها، هيوت العالم ويبقى شره

(١٩٧١) سیدل المتر علیہ : ترجمہ و ترمیم

(١١٨) حديث كل الناس نصالي إلا الجاهل - الحديث ، متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه كل  
أعني وقد تقدم

والمتطوعون : أعضاء الجمعية

(١١٩) القوة ٦٧.

مضطرباً في العلم امام متضوِّع صطوري، تحت ثلاث مائت ذنوبه معه، وفي  
الحياة ومن سن سنة سيئة معه وزدّها يزود من عمل بها لا ينقص من  
أوزارهم شيئاً، في يد «وَتَخَبَّيْهَا قَوْمًا خَالِدِينَ فِيهَا» والآية،  
ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والموت.

وقال ابن عباس: وفي نسخة من الآية: «من رقة هرجع عنها، وجعلها  
الناس فيدهو» - وفي الآفاق: «وقال: يحسب» مثل رقة العالم مثل انكسار  
السيفه تعرق ويعرق ههنا. وفي الإسراية: «أن عبدًا كان يعصر الدس  
ببذعة، ثم أدركته توبة، فعمل في الإصلاح» - فأوحى الله تعالى  
بهم: «فلننه يدعوك» - وكان فيما بيني وبينهم: «عقرته من وكل كيف  
أصبت من عذري» - «فهد يدع» - «أمر العناء عقر» - «فهم  
وظيفان إحداهما: ترك الذنب، والأخرى: حذره» - «وكما تصاعف أوره  
على الذنوب، هكذا تصاعف قلوبهم على» - «سبب إدنوا» - «فرك الحس  
والميل إلى الدنيا، وقع من باليسر وعن عمام بالقوت» - «ومن الكسوة  
بالخل» - «فتمنع عنه ويقتدى به العناء والحر» - «فيكون به مثل نوسهم» - «وبن مل  
إلى الحس» - «مالت ضاع من توبه إلى الشبه» - «ولا يقدر على السهم إلا  
بخدمه السلاطين» - «وجميع حظه من آخره» - «وحيث هو سبب في جميع دن  
عمر كات العناء» - «في حوى الميانه» - «وعص» - «مغص» - «نارها» - «إد بالريح  
وبما بالخسران: وهذا القدر كاف في تعاضد الذنوب التي التوبة توبة عنها.



(۱۲۰) حدیث میں سے سنیہ حبیب و زہراؑ سے ہے۔ یہاں — الحادیث : مسلم میں حدیث جریر ابن عبد اللہؑ وقد تقدم فی ادب الکعب .

(۱۴۱) یس : ۱۴۱

## الركن الثالث

في تمام التوبة وشروطها ودوامها  
إلى آخر العسر

- بيان شروط التوبة ودوامها .
- بيان كيفية تدارك ما مضى من المصّر .
- بيان طريق كل نائب في رد المظالم .
- بيان أقسام التائبين في دوام لتوبة .
- بيان ما ينبغي أن يبادر إليه النائب - حري عليه ذلك إما عن قصد وشهرة غالية ، أو عن إلحاح نكس الاتفاق .
- ثمرة التوبة .



## الفصل الأول

### بيان شروط التوبة ودوامها

تمهيد :

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزمًا وقصدًا . وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلًا بينه وبين محبوبه . ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وثبات . ولتمامها علامة ، ولدوامها شروط . فلا بد من بيانها .

أما العلم فالنظر فيه نظر إلى سبب التوبة وسببها . وأما الندم : فهو توجع القلب عند شعوره بغوات المصروب وعلامته طول الحسرة ، والحزن ، وانسكاب الدمع ، وطول البكاء والمكر . فمن استشعر عقوبة مآلة بولده أو بهمن أعزته ، طال عليه مصيبته وبكائه . وأى عزيز أمر عليه من نفسه ، وأى عقوبة أشد من النار ، وأى شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خير أصدق من الله ورسوله ! ولو حدثه إنسان واحد يسمى صبيًا ، أن مرضى ولده المريض لا يبرأ ، وأنه سيמות منه ؛ لقال في الحال حزنه . فليس ولده بأعز من نفسه ، ولا الطيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ، ولا الموت بأشد من النار ، ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى ، والتعرض بها للنار . فأنم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى . فعلامة صحة

الدم رقة القلب ، وحرارة الدمع . وفي الخبر <sup>(١٢٢)</sup> : « جالسوا التوابين فابتهم أرق أفدة » .

ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الدوب في قلبه بدلاً عن حللها ، فيستدل بالليل كرمية ، وبالرغبة نفرة . وفي الأسراليات أن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ، وقد سأله قبول توبة عبد ، بعد أن اجتهد سين في عبادة ولم ير من توبته مقل وعرق وجلال ، لو شمع فيه أهل السموات والأرض ما صلت توبته ، وحلاوة دمك الدوب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالتدوب هي أعمال مشبهة بالطبع ، فكيف يجد مرارها .

فأقول : من تناول عسلًا كان فيه سم ، ولم يدركه بالدوق ، واستنذه ، ثم مرض وحاد مرضه والله ، وتناثر شعره ، وفلجت أعضاؤه <sup>(١٢٣)</sup> ، بيد قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم ، وهو في عاية الجوع والشهوة للحلاوة ، فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو جحد للمشاهدة والضرورة . بل ربما تنفر من العسل الذي ليس فيه سم أيضاً ، لشبهه به : فوجد أن التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعلله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل ، وعمله عمل السم . ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان . ولما عر مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى ، متهاوناً بالدوب ، مصرّ على عهد شره من الدم ويسمى أن يدوم إلى الموت . ويهين أن يجد هذه المرارة في جميع الدنوب ، وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل ، كما يجد متناول السم في العسل اللف من الماء البارد ، مهما علم أن فيه مثل ذلك السم ، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته ورواه من حيث به سرقه وربما ، بل من حيث به مخالفه أمر الله تعالى ، وذلك جار في كل ذنب .

(١٢٢) حديث جالسوا التوابين فابتهم أرق أفدة . لم أجده مرفوعاً وهو من قول عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال جالسوا التوابين فإن رجعت الله إلي التائب وقال أيضاً فلو عظة إلى كل يوم أسرع وهم إلى رقة القلب وقال أيضاً فلو أسرع جمعة وأرق قلباً .

(١٢٣) أصابها الفالج وهو فاء يحدث في أحد شقي البدن فيعطى إحساسه وحركته (الشلل النصفي) مثلاً



## الفصل الثاني

### بيان كيفية تدارك ما فات

وأما القصد الذي ينبعث منه ، وهو إرادة ترك ، فله تعلق بالحال ، وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له ، وأدرك كل فرض هو متوجه عنه في الحال . وله تعلق بالمعاصي ، وهو تدارك ما فرط . والمستقبل ، وهو دوام الطاعة ، ودوام ترك المعصية إلى الموت . وشرط حسب فيما يتعلق بالمعاصي ، أن يرد فكره إلى آون يوم بلغ فيه بالمس أو الاحتلام . ويبحث عما مضى من عمره سنة ، وشهراً شهراً ، ويوماً يوماً ، ومساءً مساءً . ويصر إلى الطاعات ما أدى قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما الذي فرقه من

### كيفية التوبة من ترك الصلاة أو فسادها

فإن كان قد ترك صلاة ، أو صلاها في ترب محس ، أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط البية . فيقتضيها عن آخرها . فإن شئت في عدد ما فات . منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ، ويقضى الباقي . ولو أن يأخذ فيه بمطالب الظن ، ويحصل إليه عن سبيل التضرع والاجتهاد

### التوبة من ترك الصوم

وأما الصوم ، فإن كان قد تركه في سقر ولا يقضه ، أو أقطر عمداً ، أو نسي البه بالليل ولم يقض ، فيتعرف مجموع ذنوبه بالتضرع والاجتهاد ، ويشغل يقضه



## التوبة من ترك الزكاة

وأما الزكاة ، فيحسب جميع ماله ، وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي : فيؤدى ما عزم به غالب الظن أنه في دمه . إن أضافه لا عن وجه يوافق مذهبه ، بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية ، لم يخرج البطل وهو عن مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، ففقط جميع ذلك ، فإن ذلك لا يميزه أصلاً وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يصح . انتج به من تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء .

## التوبة من ترك الحج

وأما الحج ، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يصرف له الخروج ، والآن قد أغلقت عليه الخروج . فإن لم يقدر مع الإفلاس ، فعليه أن يكسب من الحلال قدر الراد . فإن لم يكن له كسب ولا مال ، فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يبح به ، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عنه سلام : " من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً " وإن شاة نصراًياً ، والمجز الصاريء بعد القسرة لا يسقط عنه حج فهد طريق تفتيشه عن الصاعقات وتداركها .

## التوبة من المعاصي

وأما للمعاصي ، فيجب أن يقتش من أول بلوغه عن سمعه ، وبصره ولسانه ، وبطنه ، وبهده ، ورجله ، وفرجه ، وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أزمه وساعاته ، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه ، حتى يطلع على جميعها صحتها وكبائرها ، ثم ينظر فيها .



(١٢٤) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً — الحديث — تقدم في الحج



## الفصل الثالث

## بيان طريق كل قائب إلى رد المظالم

### المعاصي التي بين العبد وبين الله

فما كان من ذلك بين وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنصر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع خنابة ، ومن مصحف بغير وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسجّ بلاه ، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة ، ويطلب بكل ممسكة من حسنة يسبب بين من الحسنات بمقدار تلك السيئات ، أحداً من مائة <sup>(١٢٥)</sup> ، اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، بل من قوله عن <sup>(١٢٦)</sup> إن الحسنات يذهبن السيئات <sup>(١٢٧)</sup> ، فيكثر سماعه ، ولا يسمع من ذكره ويكثر القعود في المسجد حسناً بالأعتراف فيه مع الاستعانة به عبده . ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة الله أن منه ، وكثرة تقيده ، وإن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً . ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال ، وهو أطيب منه وأحب إليه . وعند جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يدرج بصدده . فمن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة . ولا يحورها ، لا نور يرتفع إليها تبعه تصدده . ولتصدت هي المتناسبات . فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيرة بخسنة من جسدتها لكن تضادها

(١٢٥) حديث اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها — الحديث — من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد ، كنصر إلى غير محرم ، وقعود في مسجد مع خنابة ، ومن مصحف بغير وصوء ، واعتقاد بدعة ، وشرب خمر وسجّ بلاه ، وغير ذلك ما لا يتعلق بمظالم العباد ، فالتوبة عنها بالنسبة وتحتصر عن ، وبأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث المسعة ، ويطلب بكل ممسكة من حسنة يسبب بين من الحسنات بمقدار تلك السيئات ، أحداً من مائة <sup>(١٢٥)</sup> ، اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، بل من قوله عن <sup>(١٢٦)</sup> إن الحسنات يذهبن السيئات <sup>(١٢٧)</sup> ، فيكثر سماعه ، ولا يسمع من ذكره ويكثر القعود في المسجد حسناً بالأعتراف فيه مع الاستعانة به عبده . ويكثر من المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة الله أن منه ، وكثرة تقيده ، وإن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً . ويكثر شرب الخمر بالتصدق بشارب حلال ، وهو أطيب منه وأحب إليه . وعند جميع المعاصي غير ممكن وإلى المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يدرج بصدده . فمن ضمة ارتفعت إلى القلب تعصبة . ولا يحورها ، لا نور يرتفع إليها تبعه تصدده . ولتصدت هي المتناسبات . فلذلك ينبغي أن تعنى كل سيرة بخسنة من جسدتها لكن تضادها



تعالى ، بنليل ماروى (١٦٦) أن ماعز بن مالك ، أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إلى قد ظلمت نفسي وزنت ، وإلى أريد أن تطهرني . فردّه . فيها كان من العمد أنه قال : يا رسول الله إلى قد زنت . فردّه الآية . من كان في الثالثة ، أمر به فحفر له حفرة ، ثم أمر به فرجم . فكان الناس فيه مريعين فقليل يقول بعد هلك وأحاص به حصيته وقيل يقول ما توبة أصيد من ماله . من رسول الله ﷺ ، لقد تاب توبة لو قُسمت بين أمة لموسعتهم . وجاءت العامية فقلت يا رسول الله ، إلى قد ربيت طهرني . فردّها . فلما كان من العمد قالت يا رسول الله ، م بردي ؟ عليك يريد أن ترددي كما رددت ماعزا . فوافقه إلى الحبل . فقال ﷺ : أما الآن فأذهبني حتى تغضي ، فلما ولدت أنت بالعصى في حفرة . فقالت هذا قد ولدته . قال : اذهبي لأزعيجه حتى تقطعيه ، فلما قطعت أنت بالعصى وفي يده كسره . عز ، فقالت يا رب الله ، قد قطعت : وقد أكل الطعام مدع العصي إلى رجل من المسلمين ، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجوها . فأقبل خالد بن الوليد بحجر ، رمى رأسها ، فصاح به عن وجهه . فسمع . فسمع رسول الله ﷺ به إياها فقال : مهلاً يا عائشة فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكسر كفر له ، ثم أمر بها فصل عليها ودفت .

وأما القصاص وحد القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه . وإن كان المتناول ما لا تناوب به نصب ، أو خيبة ، أو عين في معصية تدع تبرر ، كزوج زانية ، أو ستر عيب من المبيع ، أو غصص أشجرة أجرة ، أو مع أخرى . فكل ذلك يجب أن يفتش عنه لا من حد بلوغه ، بل من أول مدة وجوده . فإن ما يجب في من العصى يجب على العصى إخرجه بعد السوء ، إن كان يورث .

(١٦٦) حديث أخرجه ماعز بن مالك ورواه عنه حتى يعرف أربعا وقوله لقد تاب توبة - الحديث .  
 سلم من حديث بريدة بن الحصيب .  
 ومما في حديث الطائفة وأخرها بالثبوت ورواهما وقوله ﷺ لقد تاب توبة - الحديث : مسلم من حديث بريدة وغيره من الذي فيه .

قصر فيه ، فإن لم يفعل كان ظاناً مطالبا به . . . . . في حدود ماله العصى والبالغ . ولبحاسب نفسه على الحيات والدمائر من أول يوم حياته إلى يوم توبته . قبل أن يحاسب في القيامة . وليأقش قبل أن ياقش من لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في آخرة حسابه . فإن حصل محمد . ما عليه بقى غالب ونوع من الاجتهاد ممكن ، فليكتب ، وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً ، وليطع في نواحي العالم وليطالبهم ، وليستحلهم . أو ليؤد حقوقهم . وهذه التوبة تشق على الظلمة وعمل التجار ، فإنهم لا يسرون على طلب المعاصي كنهم ، ولا على طلب ورثتهم . ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يعتبر عليه . فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من حسرات ، حتى تفيض عنه يوم القيامة ، فتؤخذ حسنته وتوضع في موازين أرباب المظالم وتكن ككرة حسنته بقدر ككرة مظالمه ، فإنه إن لم تف بها - ته حمل من سيئات أرباب المظالم ، هيلك بسيئات غيره .

فهذا طريق كل تائب في رد المظالم . وهذا يوجب استمراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف ذلك مما لا يعرف ، وربما يكون الأجل قريباً فيبصر أن يكون تشبهه بحسنات والوقت ضيق ، أشد من تشبهه الذي كان في المعاصي في مشي الأوقات . هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته . أما أمواله الخاضعة . فليرد إلى مالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا فعليه أن يتصدق به . فإن احتبط الحلال بالحرم فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ، ويتصدق بذلت إصدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرم . وأما الحدية عن القيوب فتأنيب الناس بما يسوءهم أو يهيب في النية . فيطلب كل من تعرض له بلسانه ، أو ذى قلبه بفعل من أعماله ، وليستحل واحداً واحداً منهم . ومن مات أو عت فقد مات أمره ، ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات ، فتؤخذ منه حوضاً في حياة . وأما من زوجته وأحله يعيب قلب منه . عدت كفارته . وعليه أن يجره قدر جهاته وتعرضه له . فالاستحلال المهيأ لا يكفي . وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم يطلب نفسه بالإحلال ، وأدخر ذلك في القيامة فذخيرة يأخذها من حسنته ، أو يحمله

من سيئاته . فإن كان في جملة جنائبه على العبر ما لو ذكره وعرفه لتأدى بحرفته ، كرمه بخاريته أو أهله ، أو نسيته باللسان إلى عيب من عفاها عبوة . معظم أداه مهما شوله به ، فقد اتسد عليه طريق الاستحلال ، فليس له إلا أن يستحل منها ، ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالمحسبات ، كما يجبر مظلمة الميت والعائبة . وأما الذكر والتعريف فهو سبقة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائبه ، وعرفه اجبى عليه . فلم تسمح نفسه بالاستحلال ، بقيت المعصية عليه . فإن هذا حق . فعليه أن يتلطف به ، ويسعى في مهماته وأعرافه ، ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه . فإن الإنسان عبد الإحسان ، وكل من نقر بسبقة مال بحسنة . فإذا طاب قلبه بكثر تودده وتلطفه ، صححت نفسه بالإحلال . أى إلا الإصرار ، فيكون تلطفه به واعتداده إليه من جملة حسناته . لئى يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائبه . ولكن قدر سعيه في فرجة ومروء قلبه بتودده وتلطفه ، كقدر سعيه في أداه حتى إذا قاوم أحدهما الآخر ، أو زاده عليه . اخذ ذلك منه عوضاً في القيامة يحكم الله به عليه . كمن أتلّف في الدنيا مالا ، فجاء بمثله ، فامتنع من له المال من القول وعن الأبراء ، فإن الحاكم يحكم عليه بالتقصر منه شاء أم أبى .

### نجاة المرء برجحان ميزان حسناته

فكذلك يحكم في صعود القيامة أحكم الحاكمين ، أو أعدل المقسطين : وإن المتع عليه من صحيحين ، عن أبى سعيد الخدرى أن نبي الله ﷺ قال (١٣) : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلّم أهل الأرض فذره عبي رابع فأثاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال لا فقله فكش به مائة ثم سأل عن أغلّم أهل الأرض فذره على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال نعم ومن يحول

(١٣) حديث أبى سعيد الخدرى عن نبي الله ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أغلّم أهل الأرض فذره عبي رابع فأثاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة قال نعم ومن يحول »

توبة ويش التوبة الطلق إلى أرض كذا وكذا في . ما يغفون الله عز وجل فاعف الله عنهم ولا ترجع إلى أرحمك قريب . سوء فالتعلق حتى إذا بصف الطريق أتته الموت وحضت فيه . الترخيه وملانكة العذاب فقلت ملائكة لرخية حرة ، نائبة فضلاً بقى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يفعل خيراً فقد فادته ميت في حله . دعى فعملوه حكماً بينهم فقال قيسوا بين الأرحميين فإن أرحمهم كان ذنبه فهو له قدسوا فوجدوه ذنب أبى الأرض لئى أراد فضضته ملائكة لرخية ، وإن به فكان إلى الحرية الصائحة أقرب منها بشر فحسب من أهدى إلى ربه . فأوحى الله تعالى إلى قلبه أن تهاجدي وإلى خلد . فترى وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير ففعلوه .

فهذا تعرف أنه لا يحل إلا . حرجان ميزان حسناته . ولا بد من تكبير حسناته . هذا حكم الله تعالى

وإن المرء يربط بالأسير . فهو من يمس مع . مقادير . وبعد . بعده . وشو . أن لا يعود إلى ثمة الذنوب . بل لا . كالتدى يعم في مرضه . فأكفه تضره مثلاً . فبعضه عرماً جرمه لا يتناول العاكهة مالم يزل مرضه . فإن هذا العزم يتأكد في الخلل ، وإن كلف جده . أن تعلبه الشهوة في ثاني الحال . ولكن لا يكون . تلياً مائة يترك حرمه في ليل . ولا يتصور أن يتم ذلك لتائب في قول أمره إلا بالحرقة ، والصحة وقت . واليوم ، وإحراز قوت حلال . فإن كان له مال موروث حلال ، أو كاتبة حرقة يكتب بها قدر الكفاية . فيمصر عليه . من رأسه انحصر أكل . فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه . ولا يكتبى بإحلال وترك . من لا يتدر عن ترك الشهوات في المأكولات والمليوبات . وقد قال بعضهم : من صدق في ترك شهوة واحدة عسى الله سبحانه أن يهديه إلى غيرها . من ذنب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبداً .

ومن مهمتها التنبؤ إذا لم يكن عادياً، أن يتعمق ما يجب عمله في المستقبل.  
وما يحرم عليه، حتى يمكن الاستغناء. وإن لم يؤثر العبرة لم تتم له الاستفادة  
المطلقة، إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والرفا  
والغضب مثلاً، وليست هذه توبة مطلقة. وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة  
لا تصح. وقال قائلون: تصح. وأعطى الصحة في هذا المقام مجمل. بل نقول  
من قال لا تصح إن حيت به أن تركه بعض الذنوب لا يعود أصلاً، بل وجوده  
كعدمه، قد أعظم خطئاً. فإن بعض أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب،  
وقتها لسبب لقلته. ونقول لمن قال تصح، إن أردت به أن التوبة عن بعض  
الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفور، فهذا أيضاً خطأ. بل النجاة  
والفور يترك الجميع هذا حكم الظاهر. — شكلم في مخايا أسرار حقو الله.

فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح. إلى أردت به أن التوبة عبارة عن  
الندم، وإنما يندم على السرقة مثلاً لكونها معصية، لا كبر سرقة. ويصح  
أن يندم عليها دون الرضا إن كان توجهه لأجل المعصية، من لئمة شامة فما،  
إذ من يتوجه على قتل ولده بأسيف يتوجه على قتله بالسكّر، لأن توجهه  
بقوات محبوه سواء كان بأسيف أو بالسكين، فكذلك توجه العبد بموت  
محبوه، وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا، فكيف يتوجه على  
البعض دون البعض، فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية معصية للمحبوب  
من العيب إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض،  
ولو جاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر، فإذا استحال  
ذلك من حيث إن المعصية في الحسرين واحد، وإنما الدنان ظروف فكذلك  
أعيان المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث مخالفة الأمر واجبة، فإذا  
مضى عدم الصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة، وثالث الرتبة لا قال لا  
بالندم. ولا يتصور الندم على بعض المآثلات فهو كالبللث المرتب على الإيجاب  
والقبول فإنه إذ لم يتم الإيجاب والقبول نقول إن العقاب لا يصح، لم يترك عنه  
الشر وهو أنى سبب يرفع هذا ثمره عند الشر لا يمنع عنه عقاب

ما تركه، وثمرته الندم تكفير مسبق ميث الرشد يكفر السرقة، بل ندم  
عليها. ولا يتصور ندم إلا كبر، معصية واحدة. على جميع المعاصي

وهو كلال مفهوم وقع، يستحق الاستغفار. بل يمكن أن يكون بعض  
منقول التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما تكون عن الكبائر دون  
الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبر. من كبيرة. أما التوبة عن  
الكبائر دون الصغائر، فامر ممكن. لأنه يعلم. الكبائر أعظم عند الله،  
وأحب سبحانه الله ومقتنه. والصغائر أقرب إلى نفي في العقوبة فلا يستحق  
أن يتوب عن الأعظم ويستم عليه. كالذي. على أمن سب وحرمة.  
ويحى على دابته فيكون خائفاً من احذية على لا. مستحق سببه عن  
الداية والندم بحسب استعظام الذنب واعتداد كد. بعد عن شدة ندم وهذا  
ممكن وجوده في الشرع. فقد كثر التأنيون في الأمر حذيه. وه يمكن أحد  
منه معصوماً فلا تستدعي التوبة معصية. وقد قد صدر مريض يعمل  
تحسيراً شديداً، وحذره لسكر حديراً أحف منه. من وجه يشعر معه أنه ربما  
لا يظهر صرر السكر أصلاً، فيتوب المريض بقوله عن بعض دون السكر.  
فهد غير محل وجوده وإن أكلهم جميعاً بحكم شبهة، ندم على أكل بعض  
دون السكر انتهى أن يتوب عن بعض نكثراً. بعض وهذا أيضاً ممكن  
لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأعقد عند الله. كذا يتوب عن القتل.  
والنهب، والظلم ومظالم العباد، لعلمه أن ديوان حدد لا يترك، وما يسه وبين  
الله يتسارع العفو إليه. فهذا أيضاً ممكن، كما في تعدد الكبائر والصغائر لأن  
الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبيها. ولذلك قد يتوب عن  
بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد، كما يتوب عن شرب الخمر دون الرضا مثلاً،  
إذ يتصح له أن الخمر مفتاح الشرور، وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي  
وهو لا يدري. فيحسب ترجع شرب الخمر عنده بنعت منه خوف، يوجب  
ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي. الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو  
صغائر، وهو مصر على كبيرة معصم أنها كبيرة كاستيواب عن المعصية، أو عن

النظر إلى غير المحرم ، أو ما يجري مجراه ، وهو مضر على شرب الخمر فهو أيضاً  
 ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ، وبإدام عن  
 فعله ندماً إما صمغاً وإما قوياً ، ولكن تكون لذة ندمه في تلك المعصية أقوى  
 من ألم قلبه في الخوف منها ، لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل  
 والفتنة ، وأسباب توجب قوة الشهوة ، فيكون الندم موجوداً ، ولكن لا يكون  
 ملئاً بتحريك العزم ، ولا قوياً عليه . فإن سلم عن شهوة أقوى منه ، إن لم  
 يعارضه إلا ما هو أضعف ، قهر الخوف الشهوة وغلبها ، وأوجب ذلك ترك  
 المعصية ، وقد تشتد صراوة الناس بالخمر ، فلا يقدر على الصبر عنه ، وتكون  
 له ضرر ما بالعينة ، وتلب الناس ، والنظر إلى غير المحرم ، وخوفه من الله قد  
 بلغ مبلغاً ينفع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة ، فيوجب عليه جند الخوف  
 إجماع العزم للترك ، بل يقول هذا الناس في نفسه . إن قهر الشيطان  
 بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي ، فلا ينبغي أن أخلع العذر وأرعى  
 العنان بالكلية ، بل أجاهده وبعض المعاصي ، فمالي أعية ، فيكون قهرى له  
 في البعض كفارة لبعض ذنوبى . ولو لم يتصور هذا لما تصور من الناس أن  
 يصوم ويصوم . وقيل له إن كانت صلاتك لعير الله فلا تصوم ، وإن كانت قد  
 فترك الناس لله . وبأمر الله فيه واحد ، فلا يتصور أن تقصد بصلاتك  
 التقرب إلى الله تعالى ، ما لم تقرب بترك الناس وهذا حال بأن يقول . لله تعالى  
 على أمرى ، ولعل الخالصة فيها عقوبتان . وأنا مل في أحدهما يظهر الشيطان  
 عاجز عنه في الآخر ، فأنا أقهره فيما أقدر عليه ، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكبر  
 عنى بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتى . فكيف لا يتصور هذا ، وهو حال  
 كل مسلم ؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ، ولا سبب له  
 إلا هذا . وإد فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب يمكن  
 وجودها . والخوف إذا كان من فعل من ورث الله ، والدم يورث العزم  
 وقد قال النبي ﷺ **والندم ثوبة** ، وم يشهد الدم عن كل دم . وقال  
**والثائب من الذنب كمن لا ذنب له** ، وم يقى الثائب من الذنوب كلها

وهذه المعاني ثبوت صفوط قلوب الثقل . إن . . . عن بعض الذنوب غير  
 ممكنة ، لأنها متائلة في حق الشهوة ، وفي حق الله . من إن سخط الله . . .  
 نعم يجوز أن يتوب عن شرب خمر دون سببه . . . . .  
 ويتوب عن الكثير دون القليل ، لأن كثرة الذنوب . . . . .  
 يساعد الشهوة بالعزم الذى يمحى عنه . . . . . بعض شهوته لله تعالى  
 كالمريض الذى حذر الطبيب الفاكهة ، فإنه قد يتناول قليلها ، ولكن  
 لا يستكثر منها ، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن . يتوب عن شيء ولا يتوب  
 عن مثله بل لابد أن يكون ما تاب عنه عند ما يقى عليه . إما في شدة  
 المعصية وأما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التمسك في اعتد الثائب ، تصور  
 اختلاف حاله في الخوف والدم . فيتصور اختلاف حاله في الترك . فندمه على  
 ذلك الذنب ، ووجهه بعزمه على الترك ينفعه . . . . .  
 أطاع الله في جميع الأمور . . . . .  
 الذى قاربه قبل طوبى . . . . . لأن الله . . . . .  
 على الترك فيما يقدر على فعله . وما لا يقدر على فعله قد انعدم بنفسه لا يتركه  
 إياه . ولكن أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحق به ضرر الرما  
 الذى قاربه ، وفارعه احتراق ، ومحرم ونده . . . . .  
 باقية لكأن حرقه الدم تمنع من الشهوة وتعد . . . . .  
 مكثراً لذنبه ، وماحيا عنه سببه إذ لا خلاف في أنه لو تاب قبل طوبى العنة ،  
 ومات عقب التوبة ، كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تبيح فيها الشهوة .  
 وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه ثابت باعتد أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب  
 صرف قصده عن الرما لو ظهر قصده . فإذا لا يستعمل أن تبلغ قوة الدم في  
 حق العزم هذا المبلغ ، إلا أنه لا يحرقة من نفسه . فإن كل من لا يشئ شيئاً  
 يقدر نفسه قادراً على تركه بأذى بخوف . . . . .  
 مقدار ندمه ، فمساها يقبله من قبل الظاهر أنه يقبض . وحقيقة في هذا كله ترجع  
 إلى أن ضمة معصية سحى عن النفس شيئاً . . . . .  
 . . . . .

شدة الشهوة بترك في المستقبل وقد امتنع المجاهدة برول الشهوة ولكن ليس  
مخالفاً أن يجرى عدم بحث يقوى على محو دون المجاهدة ولو لا هذا فقد  
شهوة لا تقل ما لم يمشي لاتباع بعد التوبة منه ، يجاهد نفسه في عين تلك  
الشهوة مرات كثيرة . وذلك كما لا يدل ظاهر الشرح على سراحه أصلاً . ومن  
فب' يد فرصة ثانية ، أحدهم سكنت نفسه عن المروع في الدنيا ، وآخر  
بقي في عيشه مروع لأنه وعثر بعد ذلك ، ونحوه . فليكن الفصل ٢

فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه . فقد أخذ من أبي حنيفة وأصحابه  
أن ملحق بالبراني : إن المجاهد أفضل ، لأن مع التوبة فصل الجهاد . وقد  
علماء البصرة : ذلك الآخر أفضل ، لأنه لو خسر في توبته كان أقرب إلى السلامة  
من المجاهد الذي هو في عرصه امتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من  
الفرق لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال حقيقته وإحقاقه أن الذي  
اتقوا مروع نفسه في حال

أحدهم أن يكون المقصود مروعاً به تصور في نفس شهوة مقصود ،  
ومعجزة فصل من هذا . إذ تركه . ففهمه قد دل على قوة نفسه ، وسببها  
ديه عن شهوته ، فهو دليل قاطع على قوة النفس ، وعلى قوة الدين . وأغنى  
قوة حتى قوة لإرادته حتى تسبب بإشارة اليقين ، وجميع الشهوة بعبث  
بإشارة الشيطان . فلهذا هو من ذلك عهده عليه قطعاً . ولولا انقراضه .  
هذا أسلم ، إذ هو لا يعود إلى الدنيا ، عهد صحيح ولكن يستعمل بعض  
لأفضل منه حصاً وهو كثرة الغنى ، من أفضل من الفحل ، لأنه في أمر من  
خطر الشهوة ونصي أفضل من السج ، لأنه أسلم . وأفضل أفضل من است  
القاهر فقامع لأعدائه ، لأن نفس لا عيب به ، واست ربه يفت مره وإ  
غلب مرات . وهذا كلام رجل سليم القلب ، قاصر النظر على العواذر ، غير  
عالم بأن العز في الأخطار ، وأن العلو شرطه اقتحام الأثر . من هو كقول  
الفاصل : الصياد الذي ليس له قوس ولا كلب ، أفضل في ساعة الاصطياد  
وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس . لأنه آمن من أن يفتح به فريسه ،

فكسر عهده عند سقوطه عن الأثر . وآمن من أن يعصه الكلب  
ويغريه عيب . وهذا حيل من صاحب الدين . والكلب إذا كان قوياً غلب  
بصريقه تدبيره على ربه أخرى بترك سدد عيب

حينئذ ينبغي أن يكون بطلان الروح بغير قوة اليقين ، وصدق المجاهدة  
بغيره . إذ يبع منه دفع عيوان شهوة . . . . . أدبت بأدب تسرع ، فلا يفتح  
لا بالإشارة من الدين . وقد سكنت بغير سلاء الدين عيب عهد على  
رمة من عهد مقدس فحان الشهوة وقسم . وقول نقائل ليس أدب فتن  
حياد قصور عن لإحدهم مقصود جهده . جهده ليس مقصود عيه من  
مقصود قمع ضرورة العدو ، حتى لا يست . إلى شهوته ، ومن عثر عن  
استحذر ك فلا يصح من سلوكه من . فإذا قهرته وحصلت المقصود ،  
بعد طهرت وما دمت في عهدة ، فلت به . طلب الظفر . ومثاله كمثل  
من قهر العدو واسترقه ، بالإضافة إلى من هو . يعون بجهده في صف أصب ،  
ولا يدري كيف يصيب . ومثله أيضاً . عدم كلب الصيد وخص  
لغرس ، عهد بآمن . عده بعد ترك كلب الصرورة وعرض جراح ،  
بالإضافة إلى من هو مشغول بمسألة التدبير عده . وقد روي في هذا فريق ،  
قصوا أن الجهاد هو مقصود لأقصى ، وهما بهما . أدب ضب لمخلص من  
عواقب الطريق ، وظن آخرون أن قمع الشهوة . وماضيتها بأكبيه مقصود حتى  
جرب بعضهم بنفسه ففجر عنه ، فقال هذا حال فكذب بالشرح ، وسبب  
سبيل الإباحة ، واسترسل في اتباع الشهوات . وكل ذلك حيل وصلان وقد  
قررنا ذلك في كتاب رياضة النفوس من ويلج لهيكات . فإن قلت : لما قولك  
في تأييد ، أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتصديق ، والآخر جعله نصب  
عنه ولا يزال يتذكر فيه ويحترق فندماً عليه . فأيهما أفضل ؟

### أيهما أفضل ؟

فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه . فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تصب





ترك التضاحة وبرل إلى كنهه<sup>(١٣١)</sup> إلى الذي يعد منه أو صغر . يصوت ه  
وعاء<sup>(١٣٢)</sup> أو صغيراً تشبهاً بالهيبة والضاغر ، تصدق في بعضه . هـ أن بعض  
عن أمثال هذه الدول ، فإنها مرلة أقدام العربيين فضلاً عن العذلين ، سأل الله  
حسن التوفيق بطلعه وكرمه .



## المجل الرابع أقسام العباد في درج التوبة

اعلم أن الدين في التوبة على أربع طبقات

توبة ذي النقص المظنونة

الطبقة الأولى أن يتوب بعضي ويـ . عن سببه إلى آخر عمره  
فيذكر ما مر من أمره . لا حـ . . . . . هو من دونه . لا التوب  
التي لا يمتد بشرع في تعدد مهجـ . . . . . في ربه التوبة . فهذا هو  
الاستقامة على التوبة . وصاحبه هو السليم . حيراب مستند بالسبب  
حسبـ . ونسب هذه التوبة لتوبة النصوح . ونسب هذه النفس السائكة نفس  
مستقيمة ، التي ترجع إلى ربها رغبة مرضية . هـ . . . . . إشارة  
بقوله عليه السلام<sup>(١٣٣)</sup> «سَقَى الْمُفْرَدُونَ الْمُسْهَرُونَ» . يذكر الله تعالى وضع الذكر  
عَنْهُمْ أَوْزَارَهُمْ فَوَزَدُوا الْقِيَامَةَ خِفَافًا . فإن به إشارة إلى أسم كانوا تح  
أزوار وضعها الذكر عنهم .

وأهل هذه الطبقة على وقت من حيث السبب إلى الشهوات ، فمن قاتل  
سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ، ففتر برعها ، ولم يشغله عن السبوك  
صرعها . ومن لا يمتد من صراحة النفس . . . . . من عده عنها ورده

(١٣١) النكه . الحق . فعل تسان . . . . . حيراب عن . . . . . . . . . .  
(١٣٢) الرعاء : صوت البحر ، والتمام والصبح وكشف الرعد ، وبكاء الصبي المنهد ، والمقصود  
العبـ .

(١٣٦) مرط سيق والفارط . . . . .  
(١٣٧) حليلت سيق للمفردون . . . . .  
وقد تقدم

ثم شهدت درجته شرح نصاً بكثرة وعنه واختلاف منه ،  
 واختلاف الألوخ وكذا من جنته من حيث قولهم من عصف يموت  
 قريباً من يومه ، بعد عن ذلك سلامه وموته قبل الفرة ، ومن ثم من صان  
 حبه وعمره ، ومما سبقه من كبر حبه ، وحسن هداه ، وأفضل ،  
 إذ كفى سببه عجز تعجز حسنة ، حتى قد بعض العلماء ، إنه يكفر الذنب  
 الذي ارتكبه العاصي أن يسكن به عسر مرات ، مع صدق الشهوة ، ثم يصبر  
 عنه ، ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى . واشتراط هذا بعيد ، وإن كان  
 لا ينكر عظم أثره لو فرض . ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا  
 عبرة ، فتبجح السببه ، وتحضر الأسباب حتى يتمكن ، ثم يطمع في  
 الاكتفاء ، فإنه لا يؤمن خروج عن الشهوة عن احتير ، فيقدم على  
 المعصية ، ويقص توبته . بل طريقها الفرار . من ابتداء أسبابه الميسرة له ، حتى  
 يسد طرقها على نفسه ، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه . به  
 تسلم توبته في الإبتداء

### توبة ذي النفس اللوامة

الطبعة الثانية تأتت سلك طريق الاستقامة في أمهات الصاعات ، وترك  
 كابر الفواحش كلها ، إلا أنه ليس يفتك عن ذنوب تعتره ، لا عن عمد  
 وتجريد قصد ، ولكن يتلى بها في مجاري أحواله . من غير أن يقدم عزماً على  
 الإقدام عليها . ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف ، وجدد عزمه  
 على أن يتشمز للاحتراز من أسبابها لئلا تعرجه لها . وهذه النفس جديرة بأن  
 تكون هي النفس اللوامة ، إذ توم صاحب على ما تسببها من لأحوال  
 الذميمة ، لا عن أنصميم عزم وتحميم رأي وقصد . وهذه أيضاً رتبة عالية ، وإن  
 كانت نازلة عن الطبقة الأولى . وهي أغلب أحوال الثانيين . لأن الشر معجون  
 بطينة آدمي قلما يمتنع عنه ، وإنما غاية سعيه أن يعصب نفسه شره ، حتى يتصل  
 ميرانه ، فترجح كفة الحسرات فأما أب تخلق بالكلية كفة السيئات ، فذلك في

عنه بعد . وهؤلاء هم من الوعد من الله تعالى ، إذ قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ كِبَارَ الْأَنْثَمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّحَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ ﴾ (٢٨)

فكل من يقع بصغرة ، لا عن توطئ مقصد منه ، فهو حدير بأن يكون من  
 الله معفو عنه . قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا عَصَوْا فَاخِشُوا أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ  
 ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ (٢٩) . فاستغفر مع ذنبهم لأنفسهم .  
 سألهم يومئذ أنفسهم عليه . من مثل هذا . لإشارة بقول ﴿ فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ ، فيما  
 روي عنه عن كره الله وحيه (٣٠) . حيزاً كل مفسد ثواب . وفي خبر  
 آخر : « الْمُؤْمِنُ كَالنَّيْتَةِ بِمَنْ أَحْيَا وَمِنْ أَحْيَا » . وفي الخبر (٣١) « لَا  
 بُدَّ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ ذَنْبٍ بَأْتِيَهُ النَّيْتَةُ بَعْدَ النَّيْتَةِ » . أي العين بعد العين

فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا يقص التوبة ، ولا يلحق صاحبها  
 بدرجة المصيرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة الثانيين ، كالطبيب الذي يؤيس  
 الصحيح من دوام الصحة ، ثم يصابه من داء كره والأصمعة لخبرة مرة بعد  
 أخرى . من غير مداومة واستمرار . وكالضيف الذي يؤيس المتفق عن نيل  
 درجة الغنى . بتورده عن التكرار والتعلق في أوقات فائدة غير متطاولة  
 ولا كثرة . وذلك يدل على مقصد الطبيب ونصه بل الفقيه في الدين هو الذي  
 لا يؤيس الخلق عن درجات السعدت ، . يتفق هم من مرات ومقارفة  
 استتت الخطيئات . قال النبي (صلى الله عليه وآله) « كُلُّ بَشَرٍ آدَمٌ خَطَّاءُونَ وَخَيْرُ

(١٣٨) النجدة . ٣٢ (١٣٩) (١٤٠)

(١٤٠) حديث على حيازة كل مفسد ناس . أي يفتك في السبب بعد صديق  
 (١٤١) حديث من كسبه نعمة حياءً وحسن خيرة . أي من وأن حياءً في صفة من حياء  
 (١٤٢) حديث من كسبه نعمة من الله . أي من كسبه نعمة من الله . وكسبه صفة من الله  
 (١٤٣) حديث من كسبه نعمة من الله . أي من كسبه نعمة من الله . وكسبه صفة من الله  
 (١٤٤) حديث من كسبه نعمة من الله . أي من كسبه نعمة من الله . وكسبه صفة من الله  
 (١٤٥) حديث من كسبه نعمة من الله . أي من كسبه نعمة من الله . وكسبه صفة من الله  
 (١٤٦) حديث من كسبه نعمة من الله . أي من كسبه نعمة من الله . وكسبه صفة من الله

فَلْخَطَّائِيْنَ الثَّوَابِ الْمُسْتَغْفِرِينَ ۝ وَهِيَ بُعِثَ ۝ السُّؤْمُومُ ۝ وَإِذَا رَافَعُ  
فَخِيْرُهُمْ مِنْ مَّائِثٍ عَلَى رَقْعَةٍ ۝ أَيْ وَهِيَ بِالْذُّبِ ۝ رَافِعٌ بِالتَّوْبَةِ وَلَدَمٌ ۝ وَقَدْ  
نَعَلَ ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَلْزَمُونَ بِالْعَسَةِ  
السَّيِّئَةِ﴾ <sup>(١٢٢)</sup> فَمَا وَصَعَهُمْ بِعَدَمِ السَّيِّئَةِ أَصْلًا ۝

الطقة الثالثة ، أ ي ب و ه يه عن الاستعانة ، ثم تفسر الشهادة في  
عصر السواب فيقدم عليها عن صحت وعقد الشهوة ، لعجزه عن قهر الشهوة  
الألأ مع ذلك موصى على صحتها ، وإن كان الحجة من السواب مع صدقة  
والشهادة وإن فخرته هذه الشهوة الواحد والستون ، وهو يؤيد أو يفكره  
أخذت عن علي قمعه ، وكذا شره هذا أمية في حال قضاء الشهوة وعقد  
انزعج يده ويحزن ، يسمى قمعه ، يستوي عنه واحد بعد مخي في قهره  
يكفه تسون نفسه ، ويسوف بويه مرة بعد أخرى ويوم بعد يوم فحده  
المنس هي التي تسمى نفس السوء ، وصاحبها من نفس فب أنه بعد فيهم  
﴿ واخرون اغفروا بذنوبهم فخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ فأمره  
من حيث مواظبته على الصلوات وكرهه لما تعاداه مرجو : فعسى الله أن يتوب  
عليه ، وعاقبته محطرة من حيث تمويهه وتأخيره ، فرد بحسب قبل التوبة ،  
ويبلغ أمره في المستبته فب يدركه تته نفسه وحر كسره ، وأمن عنه  
ياسوبه الشحوذ السابقين وإن عنه شنيعة ، وفخرته شهوته ، فيحسب أن حبي  
عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأول ، لأنه مهما تعذر على المنفعة  
مثلاً الاحترار عن شواغل التعلم ، دل تعذره على أنه سبق له في الأول أن يكون  
من جاحدين ، فيصعب الرجاء في حقه . وإذا سمرت له أسباب المواصلة على

لتحصيل. دل على أنه سب في الأول أن يكون من جملة منس. فكذلك ارتباط سعادت الآخرة ودركاتها بالخسائس والعيثات، يحكم تحديق سبب الأسباب، كارتباط المرض والصحة بجوار الأضية والأدوية وارتباط حصول فقه الناس، الذي به تستحق المناصب العالية في أمصارها، بترك الكسل، والمواظبة على تعقيد النفس. فكذلك لا يصلح لمصعب الربابة، والقصاء، وانغمض بالعلم. ولا نفس صارت مقيمة بصول تنقية، فلا يصح لمالك الآخرة وبعيها، ولا للقرب من رب العنلين، إلا قلبه مهيئ. صار صدمراً حول تركية والتصهير. هكذا سبق في الأول تحديق رب الأرباب. وبذلك قد نعى ﴿وَلْيَسِّرْ وَمَا مَثْوَاهَا قَالَهُنَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَلْخُ مِنْ رُكَّانَهَا وَقَدْ حَابَتْ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٥٧) فيها وقع بعد في دس. فصار اللبس تقداً والتوبة سبباً، كان بعد من علامات الهداية. قل **عَلَيْكُمْ** (١٥٨) **وَإِنْ أَعَدْتُمْ لَفَعْلُ بَعْمَلِ** أهل الجنة سبعين سنة حتى ينزل الناس إثم من أهلها ولا يبقى بيته وبيت أهل الجنة إلا شبر فيسقى عليه الكذب فيعمل بمصر أهل الدار يذبحونها

توبة النص الأمانة

[illegible]

أحقيقه، وأمره في مثبته الله من ختمه بالسوء على شقوة لا آخر لها، وإن  
 حتم له بالخسب حتى مات على الوحيد فينتظر له الخلاص من الدروب بعد  
 حين ولا يستحيل أن يشمه عموم نعيم بسبب حمى لا تصع عليه، كما  
 لا يستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كراً فيفتح أن يخرجه، وإن يجس في  
 بيت ليحبه الله عاماً ناعوم من غير علمه كما كان الأنبياء صبوراً لله عليهم .  
 فطلب للمعرفة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة  
 وركوب البحار . وطلبها بمجرد لو جاء مع خراب الأعمال، كطلب الكنوز  
 في المواضع الخربة . وصب العلوم من نعيم الملائكة . وليت من اجتهد نعيم،  
 وليت من اتقى استمى، وليت من صام وصل غفر له . فالناس كلهم محرومون  
 إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاصون، والعاصون كلهم محرومون  
 إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم .

وكأن من خرب بينه وصيغ ماله، وترك نفسه وعياله جميعاً، يزعم أنه  
 ينتظر فضل الله بأن يرزقه كثيراً يحمله تحت الأرض في بيته الخرب، بعد جند  
 قوى البصائر من الخفي والمرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في  
 قلوب الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المعرفة من فضل الله تعالى وهو  
 مقصر عن الطاعة، مقصر على الدروب، غير سالك سبيل المعرفة، بعد عند  
 أبواب القلوب من المعشويين .

والصجب من عقل هذا المعشوي، وبروحه حماقه في صيغة حسه، إذ يقول :  
 إن الله كريم، وجنته ليست نصيب على مثل، وممصبي ليست نظره . ثم تراه  
 يركب البحار، ويفتح الأوعار في طلب الدنار، وإذا قيل له إن الله كريم،  
 ودنانير خرائقه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس بفرك،  
 فاجلس في بيتك معاه برزقت من حيث لا تحسب يستحق قائم هذا الكلام  
 ويستزى به، ويقول ما هذا المومن ؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة،  
 وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قلره مسبب الأسباب، وأجرى به منه،  
 ولا تدل لسة الله . ولا يعلم المومر أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن

س لا تدل ما فيها جميعاً وقته قد أحرق في قل ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا  
 مَا سَقَى﴾ فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا  
 وكيف يقول ليس مقصي الكريم المتور عن كسب المال، ومقتصد الفتور،  
 عن العمل بسبب انقباضه وسعيه لحالم، وأن من يحكم الكرم يعصيه عن غير  
 جهد في الآخرة، وقد يبعد مع شدة الاجتهاد في عالم الأمر في الدنيا  
 ويسعى فيه تعالى ﴿رَغْمِي السَّيِّئُ رَزَقَكُمْ رُبَّهُ وَعَدُون﴾

فعود الله من نعيم وانفصالهما من بلا انكسار على أم الرأس،  
 وانعكاس في صلات حيل وصاحب هـ . سير بأن يكون دحلاً تحت قوه  
 تعالى ﴿وَلَوْ لَرَى إِذْ الْمُتَعَرِّفُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا  
 وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ انتهى أبعد . أنت صلتك إذ فت ﴿وَأَنْ  
 لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَقَى﴾ في رجعاً عن وعدك لا يمكن من  
 الانقلاب، ونفق عليه المسبب فعود الله من دواعي الجهل والشك  
 والارتباب السائق بالضرورة إلى سوء القلب والمآب .



(١٤٥) سج ٣٩

(١٤٦) سج ٣٩

(١٤٧) المجلة ١٢



## المصل الخامس

### بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب

إن جرى عليه ذنب إما عن قصد و شهوة غالبية  
أو عن إلمام بحكم الاتفاق

اعلم أن الواجب عليه التوبة، والسم، والاشتغال بالتكفير بحسنة تصاده، كما ذكرنا طريقه. فإن لم تصاحبه النفس على العزم على الترك لعلية الشهوة، فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني، وهو أن يبادر بالحسنة الفسحة لمحوها، فيكون ممن غلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فالحسنة المنكورة للمئات إما بالقلب، وإما باللسان وإما بالجوارح. ولكن الحسنة في حق سيئة، وما يتبعه بأسباب.

فأما بالقلب، فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال العفوة والعفو، ويتلذذ بتلذذ المبدأ الآتي، ويكون دله بحيث يظهر لسائر العباد، وذلك بصفان كثيرة فيما بينهم. فما للعبد الآتي المذنب وجه لتكفير عن سائر العباد. وكذلك يضر به قلبه الخيرات للمسلمين، والعزم على الصاعات.

وأما اللسان، فبالاعتراف بالعلم والاستعغار، فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكفر من ضرور الاستعغار، كما أوردناه في كتاب الدعوات والأدكار.

وأما الجوارح، فبالطاعات، والصدقات، وأنواع العبادات. وفي الآثار ما يدل على أن للتائب إذا أتبع بتمام أعمال كان المغفور عنه مرجواً أربعة من

أعدل القلوب، وهي التوبة أو العزم على التوبة، وحب الإقلاع عن الذنب. وغفوب المصائب عليه، ورحمة المعفرة له، وأرجحة من أعمال الجوارح وهي أن تقضي عقيب الذنب ركعتين، ثم تستغفر الله سبعين مرة، وتقرب سبحانه الله العظيم وبحمسة مائة مرة، ثم تصدق بصدقة وتصرم يوماً أو بعض الأيام<sup>(١٥٣)</sup>: تسع الوضوء، وتدخل المسجد، وعلى ركعتين.

وفي بعض الأخبار<sup>(١٥٤)</sup>: تصلي أربع ركعات. وفي الخبر<sup>(١٥٥)</sup>: إذا عملت سيئة فأنفح حسنة فكفرها السر بالسر وأعلانية بالعلانية، وبذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة السر تكفر ذنوب النهار.

وفي الخبر الصحيح<sup>(١٥٦)</sup> أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني عاصيت امرأة فأنسب مني كل شيء إلا النسب. فاقصص عن نبكهم الله تعالى. فقال ﷺ: «أو ما صليت مع صلاة الفدوة؟» قال بلى. قال ﷺ: «إن الحسنة يذهب السيئات» وهذا يدل على أن ما دون الرثا من معصية النساء صغيرة. إذ جعل الصلاة كدفعة لا بمقتضى قوله ﷺ: «الصلوات الخمس كفارات لما يسيئ»

(١٥٣) من مكفر الذنب أن تسع الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين. أصحاب السنن حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه من عبد يذنب ذنوباً عظيمة ثم يتوب فيصير له يسير الله إلا عبد الله به بغير أن يذنب وهو في تكفيره ينسأ من الله. قوله فليس حصه إلا أن يذنب

بغير ذنوبه سيئات ولا ذنوباً حسنة من شدة كثرة (١٥٣) حديث شككته صلاة أربع ركعات. ابن ماجة في سننه وبيهي في السنن من حديث ابن عباس قال قال رجل من أصحاب النبي ﷺ عزى مرقاة بـ حديث وفيه حديث آخر من حديث الرجل من امرأته وحديث ذكره غيره هو مثل اسمه فله مدد من النبي ﷺ وذكره في حديثه من حديث صل أربع ركعات فأمر الله عز وجل: «أفم الصلاة طهرت به ذنوبه وسادته جيد»

(١٥٤) حديث إذا عملت سيئة فأنفح حسنة فكفرها السر بالسر وأعلانية بالعلانية. بيهي في السنن من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه العنبري من رواية معاذ بن يسار عن معاذ ولم يلقط وما حسنت من حديث فحدث الله فيه بوبه السر بالسر - الحديث

(١٥٥) حديث أن رجلاً قال: يا رسول الله إني عاصيت امرأة فأنسب مني كل شيء إلا النسب. - الحديث في موطأ إلى أصحاب ينفخ الحسنة معن فيه من حديث ابن مسعود قال قال الله: «ما عاصيت مع صلاة الفداء ورواه مسلم من حديث أبي هريرة عن معاذ قال قال الله ومن حديث ابن أمية وفيه ثم شهد الصلاة معاً قال معاً - الحديث

إلا الكبار .

فعل الأحوال كلها ، يبقى أن يحاسب نفسه كل يوم ، ويجمع سنة ،  
و عهد في دعائها بالحساب .

في هذا فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الإصرار ، وفي  
غيره <sup>١٥٦</sup> المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بآيات الله ،  
وكان بعضهم يقول : استغفر الله من قول استغفر الله . وقيل : الاستغفار  
سبب توبه الكبار . وفي رابعة المتوبة : استغفروا يحتاج إلى استغفار  
كثير

### استغفار العبد أمان له

واعلم : أنه قد ورد في فصل الاستغفار أخبار خارجة عن المحصر ، ذكرناها  
في كتاب الأدكار والدعوات ، حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ ،  
فقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ  
يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ <sup>١٥٧</sup> فكان بعض الصحابة <sup>١٥٨</sup> يقول : كان لنا أمان ، ذهب  
أحدنا ، وهو كود الرسول ﷺ ، وبقي الاستغفار مع غيره ذهب منك  
فقول :

الاستغفار الذي هو توبه منك ، هو الاستغفار بمجرد النسيان ، من غير  
أن يكون لقلب فيه شركه . كما يقول الإمام بحكم العادة وعن رأس المعتزلة  
استغفر الله . وكما يقول بدائع صفة البر . يعود بالله م . من غير أن يثربه

(١٥٦) حديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستغفر بآيات الله : ابن أبي الدنيا في البرقة من  
طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمستغفر بآياته وسنده صحيح

(١٥٧) الأنعام : ٣٣

(١٥٨) حديث بعض الصحابة في قوله تعالى وما كان الله لمعذبهم وأنت فيهم الآية كان لنا أمان ذهب  
أحدنا أحد من قول : أو موسى لم يدرى : مع أنه من حديثه أن الله على أمان . حديث  
وسنده وابن مرفعه في مسنده من قول ابن عباس

قلبه . وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان لا حدود له . وقد يرد بعض  
إليه تصرع القلب إلى الله تعالى . وابتدأه في سؤال معتبره ، عن صدق عودة  
وخلوص توبة ورغبة ، فهذه حسنة في نفسه . فتصالح لأن يدع بآياته  
وعلى هذا تحسن الأخبار الواردة في فضل استغفار حتى قال ﷺ <sup>١٥٩</sup>  
أصغر من استغفر ولو عاد في اليوم مئتين مرة . وهذا عذرة عن الاستغفار  
بالقلب . وللتوبة والاستغفار درجات . وإنه لا خير عن التوبة وإنه  
إلى أواخرها . ولدت قل ميل . لأنه من كل حال من مولاه . فحسن  
أحواله أن يرجع إليه كل شيء : فإن عصى بآيات الله عصى . وقد فرغ من  
معصية قل يارب تب علي فبدأت بآيات رزقي لعصية وبد غير  
قل يارب تب علي

ومثل أيضا عن الاستغفار الذي يكسب من الله نور الاستغفار  
لا مشحونه ، ثم لإزالة ، ثم توبة . علامه . حسن جورج . والإشارة إلى  
العروب . ولوه رفته عن مولاه . بأن حسن . حتى ثم يستغفر الله من معصيته  
التي هو فيه . ومن أجل نسيان . ثم بعد ذلك يعمر به ، ويكون  
عده مأواه ، ثم سقر من لا مرد ، ثم . ثم السب ، ثم شكر ثم معرفة ،  
ثم مدح ، ثم معاداة ، ثم لا ثم مدح . وهو الحية . لا يستغفر  
في قلبه حتى يكون له عذرة . و . فومه . والرب ردد . ولو كل  
صحة . ثم يصير الله إليه ، فرفعه من العرش . يكون مقدمه من جهة العرش

ومثل أيضا عن قوله ﷺ والثالث حب الله . فإن لم يكن حيا بد  
كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى في التائب . لعبدون ﴿ الآية . وهو  
حبيب . الذي لا يدح من حيث يذكره حب

(١٥٩) حديث عاصم عن استغفر . تخطيت . ظلم في ردد  
١٠١ توبة ١٢

## ثمره التوبة

والمتعود أن للتوبة مرتبتين إحداهما مكفر سيئ، حتى يصير كمن لا ديب له والذية من الدرجات، حتى يصير حسناً لا شك في أيضاً درجات فيعصيه نحو لأصل باب بالكنية، وعصيه حبيب له ويتصوت ذلك بھاوت درجات التوبة، فالاستغفار بالقلب، والتدارك بالحسنة، وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات؛ فليس يخلو عن العائنه أصلاً فلا يسعى أن تشر أن وجودها كعدمها، بل عرف أهل المشاهدة وروايات الصوف معرفة لا ريب فيها، أن قول الله تعالى ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ صدق وأنه لا خير ذرة من خير عن ثمره كما لا خير شجرة تطرح في الميزان عن أثر ولو علت الشجرة الأولى عن أثر؛ لكنت الثانية منها، ولكن لا يرجح الميزان بأعمال الدرجات، وذلك بالضرورة محال. بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كلمة لسيئات، فإذ أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها، وذرات المعاصي فلا تنفيها كالماء الخرقاء، فكسل عن العزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بحيط، وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوه أن ثوب الدنيا اجتمعت بخيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة.

فقد انزعج والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيق عند الله أصلاً. بل أقول الاستغفار باللسان أيضاً حسنة، إذ حركة اللسان بها عن غفلة غير من حركة اللسان في تلك الساعة يعينة مسلم، أو فصول كلام. بل هو خير من السكوت عنه، فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه، وإنما يكون نقصاناً بالإضافة إلى عمل القلب. ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن

المرئول ٧

لسان في بعض الأحوال يجرى بالذكر والقرآن، متى عامل، فقال: اشكر الله إذا استعمل جارحة من جوارحك في الخير، وما ذكره حق. فإن جود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع، يدفع جملة من المعاصي. فمن تعود سانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما يوعده من استغفار الله. ومن تعود الفصول، سبق لسانه إلى قول: ما أحقك، ما أفصح كذبت! ومن تعود الاستمادة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من ر، قل بحكم سبق اللسان يعود بالله، وقد تعود الفصول قد: لمة الله في إحدى مكنتين ويسمى في الأخرى وسلامه أثر عبد لسانه خير وهو من حسنة معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، معنى قوله تعالى ﴿وَبِذَلِكَ جَاءَ يُصَافُّهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يصير كيف صاعقه إذ حسن الاستعمال في المنة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر المعاصي بالعينة والنفس والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة أكبر لو كان يعلمون.

فإنك وأن تلمح في الصاعات مجرد الآفات، فتعثر وغيتك عن لحيادات، فب هذه مكيدة روجها ليشغل بلسه عن المعريين، وحسن إنهم هم رب البصائر، وأهل التفطن للخفايا والسرائر. فأى خير في ذكرنا باللسان مع عملة القلب، فانقسم الخلق في هذه للمكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما السابق: قل صدقت يا مبيوع، ولكن هي كلمة حتى أردت بها بطلاً. فلا حرم أعدك مرتين، وأرغم نفسك من وجهين، بأصيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالدي دلوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

(١٦٦) التوبة

(١٦٧) السوء

وأما الظالم المعرور، فاستشعر في نفسه عيلاء القطعة لهذه الدققة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب، فترك مع ذلك تمويده للسيد بالذكر، فأسعف الشيطان، وتبدل بحبل غروره، فثبت بينهما المشاركة والموافقة. كما قيل: وافق شين طقه، وافقه فاعتقه.

وأما المقتصد، فلم يقصر على إرغامه بإشراك القلب في العمل، وتمطى لنقصان حركة النفس بالإضافة إلى القلب. ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول، فاستمر عليه، وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع السيد في اعتياد الخير.

فكان السابق كالخائف الذي ذمت حياته فتركها وأصبح كاتباً. والظالم المختلف كالذي ترك الحياة أصلاً وأصبح كئاساً. والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة لا بالإضافة إلى الكساس. فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياة ولذلك قالت رابعة العدوية استغفرونا محتاج إلى استعارة كثير فلا تظن أنها تترك حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله، بل تترك عملة القلب وهو محاج إلى الاستعارة من عملة قلبه لا من حركته بساها. وفي مكت عن الاستعارة باللسان أيضاً. محتاج إلى استعارة لا إلى استعارة واحد.

فهيكنما يسعى أن تهم دم ما يدم، وحمد ما يحمد، وإلا جيلت معنى ما قال المقاتل الصادق: حسنت الأبرار سيئت بتفريير. وفي هذه أمور كتبت بالإضافة، فلا يسعى أن تؤخذ من غير إضافة. بل يسعى أن لا تسحق درات الطاعات والمعاصي. ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى ثلثاً في ثلاث: رضاه في طاعته، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل رضاه فيه. وغضبه في معاصيه، فلا تحقروا منها شيئاً، فاعل غضبه فيه. وحجاً ولامه في عباده، فلا تحقروا منهم أحداً، فنعمة ولي الله تعالى. وراود وحاً إجابته في دعائه، فلا تحركوا الدهاء، وربما كانت الإجابة فيه.

## الركن الرابع

في دواء التوبة، وطريق العلاج  
لحل عقدة الإصرار

- تمهيد.
- طلب العلماء أول علاج العاصي وهو الركن الأول.
- الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار.
- الركن الثاني في العلاج: الصبر.
- أسباب الوقوع في الذنوب.
- علاج الأسباب الموجبة للإصرار.





### تمهيد

عظم أن الناس قدامك :

القسم الأول : شاب لا صورة له ، مثلاً عن حذر واجب شر ، وهو الذي قد فيه رسول الله ﷺ ، فثعلب مث من شاب ليست له صورة ، وهذا غير نادر

والقسم الثاني : هو الذي لا يغير عن مقامه ، يوب ثم هو يفسد من مضربين وبني تالين ، وعرضاً أن بين العلاج في حل عقدة لإصرار ، وبسكر الدواء فيه

فاعلم أن شعاع التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، ولا يقف على الدواء من لا يقف على الماء إذ لا معنى للدواء إلا ما لفتة سبب الماء ، مكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ، ورفع ، بصله ، ولا يقف شيء إلا بصله ، ولا سبب لإصرار إلا العنة والشهوة ، ولا يصاد لعنة إلا انعم ، ولا يصاد شهوة إلا صبر عن دفع الأسباب محركه شهوة ، وعقبة رأس الخطايا ، قل تعالى ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴾ لا جرم أنهم في الآخرة هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿ ١٦٥ ﴾ فلا دواء إذ لشهوة إلا معصية ، فبعض من خلاوة انعم ، وحرارة الصبر ، وكما يجمع المكنونين ﴿ ١٦٦ ﴾ بين خلاوة اسكر ومحوصة حل ، ويقصد بكن مهمل عرض آخر في العلاج مجموعهما ، ويقمع الأسباب

(١٦٦) حديث يعجب بك من الشاب ليست له صورة ، حد وأخبرني من حديث عليه به عدم وليه

من فقهه

هـ نسباً له صمد ، أي من بني هوى

(١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠)

(١٦٥) (١٦٦) (١٦٧) (١٦٨) (١٦٩) (١٧٠) (١٧١) (١٧٢) (١٧٣) (١٧٤) (١٧٥) (١٧٦) (١٧٧) (١٧٨) (١٧٩) (١٨٠) (١٨١) (١٨٢) (١٨٣) (١٨٤) (١٨٥) (١٨٦) (١٨٧) (١٨٨) (١٨٩) (١٩٠) (١٩١) (١٩٢) (١٩٣) (١٩٤) (١٩٥) (١٩٦) (١٩٧) (١٩٨) (١٩٩) (٢٠٠)

الهيئة للصبر ، فهكذا ينبغي أن يتقن علاج القلب مما به من مرض  
الإصرار .

بدأت بدواء الصلابة ثم دواء القلب ، وآخر الصبر ولا بد من  
يأتيه



## الفصل الأول

### طب العلماء

### أول علاج العاصين والأصل الأول

وبن قسنت يفتح كل علم للحق الإصرار أم لا بد من علم مخصوص ؟ . فاعلم أن  
عمود حبيب نوره لأمر من عيوب . ولكن . من مرض علم بخصه . كما أن  
علم صديق في علاج لأمر من . حبيب . يمكن يفتح كل علة علم  
مخصوص . فكذلك دواء لإصرار . حبيب . ذلك العلم على مدرك  
مرض لأمر . يكون قرب . حبيب .

### الإيمان بأصل الشرع

يحتاج المريض إلى تصديق شئ

الأول : أن يصدق على الجملة بأن للمرض دواء . نسبة يؤمن به .  
بالاختيار ، على رتبة مسبب الأسباب ، وهذا هو الإيمان بأصل الطب . يجب  
من لا يؤمن به لا يسعنا علاج . ويجب عليه الهداية وهذا هو ما نحن فيه .  
لأن أصل الشرع وهو أن سعادة في آخره . هو الصاع ، وشهادة  
هو المعصية . وهذا هو أصل الشرع . وهذا لا بد من حصوله إما  
عن شخص أو بعيد وكلامهم من جهة الإيمان

الثاني : أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب . حدد  
فيه : صادق فيما يعبر عنه ، لا يأس ولا يكذب . فإن إتيانه بأصل الطب  
ينمعه بمجرد دون هذا الإيمان . ووارثه بما لحق فيه ، العلم بصدق الرسول  
ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق ، لا كذب فيه ، لا حسب

### الإصغاء إلى وعد الله وتحذيره

الثالث : أنه لا بد أن يصغى إلى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه  
والأسباب المصرة على الجملة ، حتى يعذب عليه الخوف في ترك الاحتتام فتكون  
سدة الخوف باعثة له على الاحتواء ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار  
المستتمة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع  
المغوى ، والتصديق بجميع ما يقى إلى صمعه من ذلك ، من غير شك  
واسترافة<sup>(١٦٧)</sup> ، حتى ينبعث به الخوف المقوى على الصبر ، الذي هو الركن  
الآخر في العلاج .

### طلب العلم ونشره

الرابع : أن يصغى إلى الطبيب فيما يخص مرضه ، وفيما يترمه في نفسه  
الاحتواء عنه ، ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ، وما كونه  
ومشروبه . فليس على كل مريض الاحتواء عن كل شيء ، ولا ينفعه كل دواء .  
بل لكل حلة خاصة علم خاص ، وعلاج خاص ، ووزانه من الدين أن كل عبد  
يقبض على بكر شهوة ، وارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن ذنب

(١٦٧) الاسترافة : الزمعة والرياء

مخصص ، له ديون مخصوصة . في حاجته : حين مرهقه من العمل بأش  
ديون ، ثم في العمل بدونه ، وفيه ضيرها ، ثم في علم كيفية لتوصل إلى  
أصبر عب ، ثم إلى علم كيفية كسر ما سبب فيه هذه عبه يختص بها  
أخصه من . وهذه العدة ليس هي . لأنه لا يملك ما يملك إلى علم عصفانه فعليه  
طلب العلاج من طبيب ، وهذا نعم . فإنه لا يلقى أن ما يرتكبه  
ذنب ، فعلى عب أن يعرفه ذلك . حيث بأن يحسن كل عالم بإقليم أو بلدة ،  
أو حلة ، أو مسجد ، أو مشيد فيعلم أهله دسم ، ويغير ما يضرهم عما  
ينفعهم ، وما يشقيهم عما يسعدهم . ولا ينبغي أن يصير إلى أن يسأل عنه .  
بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى الله . بهم ورقة الأبياء ، والأنبياء  
ما تركوا الناس على حيلهم ، بل أثار يدورهم . بجمعهم ، ويدورون على  
أب دوعه في الله . ويصلون واحد واحد في شربهم ، فإن قرصي  
القلوب لا يعرفون مرضهم . كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة  
معه ، لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وقد مرض عبي عن العلماء  
كافة (١٦٨) .

وعلى أسلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل حمة طبيباً متديناً ، يعلم  
نفس ديهيم من الخلق لا يؤمنون إلا به . فلا من يبيع الدعوة بهم في  
الأصل والفرع . والدنيا دار مرضى . لا ليس في نفس الأرض ولا ميت ،  
ولا على ظهرها إلا مستحب . ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان . والعصفاء  
أطباء ، والبسلاطين قوائم دار المرضى . فكل من مرض لم يقبل العلاج بمداوة  
العالم ، يسلم إلى السلطان ليكتب بشره ، كما نسب الطبيب المريض الذي  
لا يحصى ، أو الذي غلب عليه الجبن ، أو القيم ليقده بسلاسل  
والأغلال ، ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس .

### أكثرية مرضى القلوب على مرضى الأبدان

وإن صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث جليل :

(١٦٨) إن دم به واحد مبد لا يستغنى عن الآخر

إحدهما : أن المريض به لا يدري أنه مريض

والثانية : أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم . بخلاف مرض البدن ، فإن عاقبته موت مشاهد ، تنفر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد . وعاقبة الدنوب موت القلب ، وهو غير مشاهد في هذا العالم . فثبت أنفرد عن الدنوب وإن علمها مريضها ، فثبت أنه يرى على نصر الله في مرض القلب ، ويجب في علاج مرض القلب من غير تكبر .

والثالثة : وهو الداء المعصل فقد أصيب . من الأصء هم بعضاء ، وقد مرضوا في هذه الأعصار . مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سوسة في عموم المرض حتى لا يظهر بقعهاهم فاصطبروا إلى سوء الخلق ، وإبشاره عليهم بما يريدهم مرضاً . لأن سوء الخلق هو حب الدنيا وقد عيب هذا الداء على الأطباء ، فلم يقدروا على تخدير الخلق منه ، استكفاهم من أن يبالوا به . فمد بالكم تأمرور بالعلاج وسوسون تفككم ؟ فيه أنسب عم على الخلق الداء وعظم الوباء ، وانقطع الدواء ، وهلك الخلق لقد الأطباء . بل اشتغل الأصء بعون الإغواء ، فليتهم إذا به يصحوا لم يعيشوا ، وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا . وليتهم سكبوا وما نطقوا . فإنهم إذا تكلموا لم يسمهم في مو عظمهم إلا ما يربع العوام ، ويستعمل قلوبهم . ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء ، وتعيب أسباب الرجاء ، وذكر دلائل الرحمة ، لأن ذلك الذي في الاجتماع ، وأخف على الطباع . فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد حرة على بعضى ، ومريد ثقة بعض الله . ومهما كان الطبيب جاهلاً أو حاكاً ، أهلك بالدواء حيث يصعبه في غير موضعه ، فالرجاء والخوف دواءان ، ولكن لشخصين متضادين العنة أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية ، وكلف نفسه ما لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكلية ، فكسر سورة إسرائه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ، ليعود إلى الاعتدال .

(١٦٩) جمع عصر ، وهو الزمر

وكذلك نصر على الدنوب ، نشتهى نبوة ، تمتع بها بحكم القدر . وأنس استعداداً بدونه إلى مسنة ، يعجز أيدى بأساب الرجاء ، حتى يصح في قلوب شوه فيتوب .  
فما مدحة المعروف المنبرج في بعضى بذكر أسباب الرجاء ، فبهي معاجة المجرور بانفس صا متداء . وديت من ذل بعضى ولأغواء . وقد سدد لأصء هي المعصاة الداء . شئ لا تفعل منه أصلاً .

### طريق الوعظ

فإن قلت : وذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في صريف الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك يعول ولا يمكن استغناء .  
نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار ، وهي الداء على ترك الدنوب . وهي أربعة أنواع .



(١٧٠) من الدواهي بشديدة ، كما في القاموس



## المجلد الثاني

### الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار

#### ذكر الآيات والأخبار المحفوفة

الأول : أن يذكر ما في القرآن من الآيات المحفوفة للمسلمين والعاصين ، وكما ورد من الأحاديث والآثار من مروي عن النبي ﷺ ، ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهما باليت هذا المخلوق لم يخلقوا ويقول الآخر باليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا ، وفي بعض الروايات : ليتهم تجالسوا فتذاكروا فاعلموا ويقول الآخر باليتهم إذ لم يعلموا بما علموا فاعلموا بما علموا .

وقال بعض السلف : إذا أدب العبد ، أمر صاحب البيت صاحب السمال وهو أمر عليه أن يرفع انظم عنه ست ساعات ، فإن لم يستغفر كتبها : وإن لم يستغفر كتبها : وقال بعض السلف : ما من عبد يعصى إلا استأذن مكنه من الأرض أن يحسب به ، واستأذن سقاه من السماء أن يسقط عليه كسفاً . فيقول الله تعالى للأرض والسماء : كفا عن عبيدي

(١٧١) حديث ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتحاوران بأربعة أصوات يقول أحدهما باليت هذا المخلوق لم يخلقوا - الحديث : غريب لم أجده هناك ، وروى أبو منصور الطبرسي في مسند القدروس من حديث أبي عمر بسند صحيح : أن الله ملكاً يتأذى في كل ليلة أبناء الأرض ررع كل ذنبا صغاره - الحديث : وفيه ليت الخلاق لم يخلقوا ولتجملوا إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بهم فتذاكروا - الحديث :

(١٧٢) جمع كسفة وهي القطعة ،

وأمهلاه وإكمام تحلقه ولو خشيته لرحمته . رحمه يتوب إلى فأعمر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسات . - معنى قوله تعالى ﷻ إن الله يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴿١٧٣﴾

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الطابع معني بقائمة العرش إذا انتهكت الخزائن وشحلت المم ، وأمر الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها ، وفي حديث محمد ﷺ : القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذهب الغند دنيا القبح أضحى حتى تنبض الأصابع كلها فيسند على القلب فذلك هو الطبع . وقال الحسن : إن بين العبد وبين الله حجاب من المعاصي معبود ، إذ بينه عبد صبح الله عن قلبه ، فلم يوفقه بعدها خير

والأخبار والآثار في دم الغامض ومدح التائب لا تحصى . فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله ﷺ ، فإنه ما حلف دياراً ولا درهماً ، إنما خلف العلم والحكمة ، وورثه كل عالم يقدر ما أصابه .



(١٧٣) فاطر : ٤١٠ .

(١٧٤) حديث عمر الطابع مطلق بقائمة من مروي العرش إذا انتهكت الخزائن - الحديث : مروي

وفي حال في المصنف من حديث من عمر وهو مروي

(١٧٥) حديث محمد ﷺ : القلب مثل الكف مفتوحة كلما أذهب الغند دنيا القبح أضحى حتى تنبض الأصابع كلها

قول جماعة وكذا ذكره المفسرون من قوله : بين تمرص دهره به في شعب إمام البيهقي من قوله

حديثه

(١٧٦) حديث أنه ﷺ : ما حلف دهر ولا درهم إلا حلف حبه وحكمته . فيجوز من حديث

عمر بن الخطاب من ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديراً ، ولا درهم ولا أمة ومسلمه من

حديث عائشة ما ترك دياراً ولا درهم ولا أمة ولا حبة ولا نوى وفي حديث أبي البراء ، أن الأنبياء لم يورثوا

دياراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم - الحديث : وفي نسخة في العلم

## ذكر حكايات ذنوب الأنبياء والأولياء

النوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين ، ومن جرى عليهم من الأهالك بسبب ذنوبهم ، فذلك شديد الوقع ظاهر البقع في قلوب الخلق

مثل أحوال آدم عليه السلام في عصائه ، ومن ثقبه من الإخراج من الجنة ، حتى روى أنه لما أكل من الشجرة صيرب سجن<sup>(١٧٧)</sup> عن حسنة وبنات عورته ، فسحب - ح - وإكليل من وجهه أن يرتفعاً عنه ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فحذ التاج عن رأسه ، وحل الإكليل عن جبينه ، ونودي من فوق العرش : ليعطى من جوارى فإنه لا يجاوز من عصاى . قل فتمت آدم إلى حواء بالكلية وقال : هذا أول شؤم المعصية ، أخرجنا من جوار الحبيب .

وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام ، لما عوقب عن حبسه لأجل احتمال الذي عهد في داره أربعين يوماً ، وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها قال نعم ولم يفعل . وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لكانها منه ، فسلب منه أربعين يوماً ، فهرب تائها على وجهه . فكان يسأل بكفه فلا يظلم . فإذا قال أطعموني قال سليمان بن داود شج ، وطرده ، وضرب ، وحكى أنه استطعم من بيت لامرأته مطردته وبصقت في وجهه . وفي رواية أخرجت عحوز جرة فيها بول فصبته على رأسه ، إلى أن أخرج الله الخاتم من بطن الخوت ، فلبسه بعد انقضاء الأربعين : أيام العقوبة . قد فجاءت فطبور فمكمت على رأسه ، وجذبت الجلس واسياتين والوحوش فاحسنت حوله . فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه ، فقول لا ألومكم بيد معتم من قبل ، ولا أحمكم في علوكم الآن . إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه .

(١٧٧) حلل جمع حلة ، وهي الملابس التي يحل بها الإنسان ويستر .

وروى في ١٧٨ حديث أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل إليه ليحسب فيه . فراودته بمس وصالته بها ، فحدهد واستعصه . قل لله الله ببركة تقواه ، فكان بها في بني إسرائيل . وفي بعض موسى عنه سلام ، أنه قال للحظير عليه السلام . لم أطمعك الله على عه العيب ؟ قل بترك المعاصي لأجل الله تعالى

وروى أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام ، فطر إلى قميص نظرة ، وكان جديلاً ، فكانه أعجبه . قال فوصحه الريح . فقال لم فعلت هذا ولم آمرك ؟ قالت : إني بطيئت إذا أطمعت الله

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام ، أتدري ما فرقت بين وبين ولدك يوسف ؟ قال : لا . قل : قولك إخوته تخاف أن يأكله الدئب وأنتم عنه غاصون لم خفت عليه الدئب ولم تترأسوا<sup>(١٧٩)</sup> . ومن صرت من عفة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟ لو تدري لم رددته حيث ؟ قال : لا . قال : لأنك رجوتني وقت : ﴿ غشي الله أن يأتيهم جميعاً ﴾<sup>(١٨٠)</sup> وبما قلت : ﴿ اذهبوا فتحسروا من يوسف وأخيه ولا تأسوا ﴾<sup>(١٨١)</sup> وكذلك لما قال يوسف لصاحب نكت . ﴿ اذكرني عند ربك ﴾<sup>(١٨٢)</sup> قال الله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكره فلنك في السجن بضع سنين ﴾<sup>(١٨٣)</sup> . ومن هذه الحكايات لا تنحصر . ولم يرد بها القرب والأخبار ورود الأسرار . بل الغرض من الاعتبار والاسبصار ، تنعم أن لآباء عبيد السلام من يتحور عنهم في الذنوب الصغيرة ، وكيف يتجاوز عن غيوره في الذنوب الكبرى ! نعم كانت سعادتهم في أن عوجنوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة . والأشقياء يهلون ليردادوا ثمناً ، ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر ، فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكثر جسمه على أسياف المصيرين ، فإنه نافع في تحريث ذوي النوبة

(١٧٩) يوسف : ٨٧

(١٨١) يوسف : ٤٢

(١٧٨) يوسف : ٨٣

(١٨٠) يوسف : ٤٧

### ذكر تعجيل عقوبة الذنوب في الدنيا

النوع الثالث : أن يقرر عدهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الدواب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائنه . فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ، ويتعاف من عقوبة الله في الدنيا أكثراً لفرط جهوله . ينبغي أن يخوف به . فإن الدواب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر . كما حكى في قصي داود وسليمان عليهما السلام . حتى أن قد يظيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه . وقد تسقط صرته من القنوب ويستولى عليه أعداؤه . قال عليه السلام (١٨٧) « إِنَّ الْعَبْدَ لَيُخْرَمُ الرِّزْقُ بِالدَّنْبِ يُجِبُّهُ » وقد ابر محمود بن لأحسب أن لعبد يسيئ نعم الله عليه بسبب ذنوبه وهو معي قوله عبه السلام (١٨٧) « مَنْ قَارَفَ دَلِيًّا فَارَقَهُ عَقْلٌ لَا يَهْدِيهِ إِلَيْهِ أَبَدًا » وقد بعض السلف : ليست اللعة مولداً في الوجه ، ونقصاً في المال ، إنما اللعة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شرمته ، وهو كما قل . لأن اللعة هي الطرد والإبعاد . فإذا لم يوفق للخير ، وبقر له الشر فقد أبعد . والحرام عن رزق التوفيق أعظم حرامان . وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف ، فيحرم العبد به عن رزقه المدفع من مجالسة العلماء المتكرين للذنوب ، ومن مجالسة الصالحين . بل يمقت الله تعالى لممته الصالحين . وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه ، محترراً زلفته رجله ، حتى زلقت رجله وسقط . فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويكي ويقول : هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويجانبها ، حتى يقع في ذنب ودين ، فعندما يخوض في الذنوب خوضاً . وهو إشارة إلى أن الذنب تتعجل عقوبته فلا يجترأ إلى ذنب آخر . ولذلك قال الفضيل : ما أنكرت من تغفر الزمان وجهاء الإخوان ،

(١٨٢) حديث إلى العهد لعمرم الررف بالنصب بضمه . لمي ماجة واحكام وصحيح السناده واللفظ له إلا أنه قال الرجل بهذا العهد من حديث تو بيان .

(١٨٣) - حيث من قلوب دباً فارقه عشق لا يعود إليه أبداً : قدم

[illegible]

وَحَكَمِي عَنْ أَبِي سَعْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ قَالَ فِيهَا كَيْتُ  
ثَلَاثَةَ يَوْمٍ أَصْبَرْتُ ، وَحَدَّثْتُ قَوْمًا هِيَ صَوْنُهُ بِفِكْرِي ، حَتَّى نَوَيْتُ مِنْهُ  
شَهَادَةَ الرَّجُلِ . فَوَقَعْتُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَسَّوْتُ حَسْبِي كَيْتُ ، وَاسْتَرَيْتُ فِي  
بَيْتٍ ، فَمِمَّ أُخْرِجُ ثَلَاثَةَ يَوْمٍ . وَكَانَتْ أَعْيُنُ عَسْهَ فِي حِمَامٍ مُصَابِيحٍ ، فَلَا  
يُرَدُّ إِلَّا سَوْدٌ ، حَتَّى أَتَيْتُكَ بَعْدَ ثَلَاثِ نِجَاتٍ أَخْبَرْتُ ، وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ إِلَى  
فَأُشْحِضِي مِنْ رَأْفَةِ عَمَلِيهِ قَوْلِي : أَمَّا سَحَابٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ؟ كَيْتُ  
فَأَتَانِي بِرَأْفَتِهِ ، فَدَوَّرْتُ ثَلَاثَ شَهَادَةٍ حَتَّى اسْتَوَيْتُ عَيْنِي بِرَأْفَتِهِ وَخَرَجْتُ  
مِنْ بَيْتِي بِرَأْفَتِهِ ؟ فَبَدَأَ قَوْلِي دَعْوَتِي قَوْلِي ، وَنَبَتْ إِلَيْهِ عَيْنٌ ، لَبِقَتْ  
اللَّهُ بِذَلِكَ اللَّوْنِ . قَوْلِي فَحَبَّبْتُ كَيْفَ عَمَلِي بِذَلِكَ وَهُوَ بِعَدْوَانِي بِرَأْفَتِهِ  
وَعَمِمَ أَنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَنَ - أَوْ إِلَّا وَيَسُودُ وَجْهَ قَلْبِهِ . فَإِنْ كَانَ مُعِينًا أَظْهَرَ  
السَّوَادَ عَلَى ظَهْرِهِ لِبَحْرِ . وَإِنْ كَانَ شَقِيحًا أَخْبَرِي عَنْهُ حَتَّى يَنْهَكَ وَيَسْتَوْجِبَ

(١٨٤) حديث ما أنكرته من مثلك في أنكرتم من أصلكم : أي يفي ل الزهد من حديث أبي الهيثم  
وقال غريبه : فقد به عند حمى : من جلد ثمة من هلى - قلت من منهم بالكسب قال : أبى حاتم روى  
من أبيه أسندت بواسطه -

عن أبيه أحاديث كثيرة -  
(١٨٥) حيث يقول لثي إن قتل ما تصنع والله إذا قر شهوده على طاعته أن أحرمه الله ما جال  
عريب لم يجهده

سر . وأحضر كثيره في آفات تدور في قلب ، من الفقر ، والحرص وعجزه . بل من شؤم تدب في قلب على أحسنه أن يكسب ما بعده صفة . فإن بلى شيء كان عقوبة له ، ويخرجه من لرق ، حتى يصاعف شقوة . وقد أصابه نعمة كانت استمر حاته ، وجره حمل ، يشكر حتى يعاقب على كثرته . ولم يصح ، فمن بركة طعنه أن يكون كل نعمة في حقه حراء على صاعده ، ويؤثر شكره . وكل منه كدرة لديه ، زيادة في ربحاته .

### ذكر حدود الذنوب والنفوس في الوجوه

النوع الرابع : ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب ، كالخمر ، والربا ، والسرقه ، والقتل ، والعيه ، والكبر ، والحسد . وكل ذلك مما لا يمكن حصره . وذكره مع غير أهله وضع الدعاء في غير موضعه . بل يسمى أن يكون العالم كالطبيب الخادق ، فيستدل أولاً بالبعض ، والنسخة (١٨٧) ووجوده الحركات ، على السائل الباطنة . ويشغل بعلاجها ، ليستدل بقرائن الأحوال على جماعها الصفات ، وليتعرض لما وقف عليه اقدم رسول الله ﷺ (١٨٧) ، حيث قال له واحد : أوصني يا رسول الله ولا تكفر علي . قال : **لَا لَغَيْبٍ** (١٨٨) وقال له آخر : أوصني يا رسول الله . فقال عليه السلام : **عَلَيْكَ بِالنَّاسِ وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَلْبَنِي وَإِيَّاكَ وَالطَّمْعُ قِبَاةُ الْفَقْرِ وَالْعَاصِرُ وَصَلْ صَلَاةَ مُؤَذَّعٍ وَإِيَّاكَ وَمَا يُغْتَرُّ بِهِ** . وقال رجل ل محمد بن واسع : أوصني فقال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال وكيف لي بذلك ؟ قال لزم الزهد في الدنيا . فكانه ﷺ توسم في السائل الأول تخيل الغضب فيها عنه . وفي السائل الآخر تخيل الطمع في الناس وطول الأمل . وتخيل محمد بن واسع في السائل تخيل الحرص على

(١٨٦) السجدة هبته والبول وهي متحيز وفتح لسكو .

(١٨٧) حديث قال رسول الله ﷺ ولا تكفر علي قال لا يغضب .

(١٨٨) حديث قال له آخر أوصني قال عيب . يا رسول الله . الحديث .

الدين . وقال رجل لمعاد أوصني فقال : كن حسناً أكرمك الله نعمة رعيته . فكانه تفرس فيه آثار انصافه ونعته وقال رجل إبراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : **إِيَّاكَ وَالنَّاسَ** ، **وَسَيِّئَ دِينِهِ** ، **وَلَا تَسْأَلْ مِنَ النَّاسِ** ، فإن الناس هم الناس ، وليس كل الناس بالناس . ذهب الدين . وبقي الناس ، وما أراهم بالناس ، بل عموماً إلى ماء يناس . فكانه تدب آفة الخائفة . وأحضر عما كان هو الغالب على حاله في وقته ، وكان العيب أداه بالناس . والكلام على قدر حال السائل ، أولى من أن يكون بحسب حال القائل ، وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنه أن اكسب لي . يا رسول الله ولا تكفر لي . فكتب إليه من عائشة إلى معاوية . سلام عيب . أما بعد ، فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول (١٨٩) : **مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَخَطَ اللَّهُ عَنْهُ سَخَطَ النَّاسِ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَوْتُهُ النَّاسِ وَفِي النَّفْسِ سَخَطَ اللَّهُ بِرَضَا النَّاسِ وَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ** . وسلام عليك ، فانظر إلى فقها كيف تعرضت لآفة حتى تكون الولا بصدددها ، وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم . وكتب إليه مرة أخرى أما بعد ، فائق الله ، فإنك إذا اتقيت الله كفك الناس ، وإذا اتقت الناس لم يحوا عنك من الله شيئاً والسلام .

فإذا على كل ناصح أن تكون حذيقه مصروفه إلى تفرس الصفات الخفية ، وبوسه الأحوال اللائقة ، ليكون فتشده يابسه . فإن حكمة جمع مواضع الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بمرغبه بما هو مستمع عن التوعظ فيه تضيق زمان .

فإن قلت . فإن كان الواعظ يتكلم في جمع . أو سألته من لا يدري باطن حاله أن يعظه ، فكيف يفعل . وعنه أن طريفه في ذلك أن يعظه بما يشرك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم ، وإما على الأكثر . فإن في علوم

(١٨٩) حديث عائشة من النبي ﷺ رضى الله عنه سخط الله وكفه الله إلى الناس . الحديث . الترمذي والحاكم وفي نسخة الترمذي من لم يسلم .



رجل نحاه وأدوية ، وأدعية مكوفة وأدعية لأرباب حس . ومثله  
 ما روي أن رجلاً من أئمة بني سعيد حذري أوصى فيه عبيث بقوى الله  
 عز وجل ، وفيه رأس كل خير . وعبيث رجع ، وفيه رعدة الإسلام .  
 وعبيث ما عرف فيه بمرئ في أهل فارس ، وركب في أهل فارس .  
 وعبيث ما عرفت ، لا من خير ، فمات بعدت تعبت سيده . وقد رجع  
 محسن أوصى فيه عن غير ما يعرفه . وقد عرفت أنه يابى ،  
 رحمه الله تعالى . ولا عرفة فيمضوا ، واحد من هذا بلاغ ،  
 وأما قصور كعب لأحرث . ولا تعرفه . إنما كل رخص فتكون  
 عدلاً ، وعن أئمة الرجال كذا . ومنه صوماً يكسر شهوات ،  
 ولا يفسد صوماً يفسد صفات . وفي صلاة أفسد من نفسه ، ولا حاس  
 الحقة ، ولا تحافظ . "توجهين وقد أيضاً لايته . يا بني ، لا تصحك من غير  
 عجب ، ولا تمش في غير أرباب" (١٩١) ، ولا تسأل عما لا يعبث ، ولا تصيح  
 مائل وتصيح مائل غيرك ، فإن ماك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ،  
 إن من يرحم يرحم ، ومن يصفى يسلط ، ومن يقل لمخرجه ، ومن يفسد  
 السر يفسد ومن لا يعبث لسانه يفسد .

وقد رجع لأبي حاتم . في نفس كل ما لو جهلك الموت عليه فرأيت  
 عبيث فامرته . وكل ما لو جهلك موت عليه فرأيت مصيبة حاجته

وقال موسى للخضر عنيهما السلام أوصني ، فقال : كن بساهاً ولا تكن  
 عضاباً . وكن نقاعاً ولا تكن صراراً ، وانزع عن النجاسة (١٩٢) ، ولا تمش في  
 غير حاجة ، ولا تصحك من غير عجب ، ولا تفرح احصائين بحظائهم .  
 وأبك على غيبك يا بني عمران .

(١٩٠) أي حالة عن غوك .  
 (١٩٢) كزب : متعبد وحيف ومصيبة وحاجة  
 (١٩٣) يفتن : فرج من كذا انتهى عنه .  
 والنجاسة : الخبث في الشهوة

وقال رجل لعمد بن حنبل أوصني : فقد اجتهد في رضا خالقك بقدر  
 ما تجتهد في رضا نفسك .

وقال رجل لحامد اللعاف أوصني . فقد : اجعل لبيبك غلاماً كعلاف  
 المصحف أن تدبسه الآفات . وقد رجع لحامد اللعاف أوصني . فقال :  
 اجعل لبيبك غلاماً كعلاف المصحف أن تدبسه الآفات . قال وما علاف  
 اللبيب ؟ قال ترك طلب الدب . لا ما لا . . . وترك كثرة الكلام إلا فيما  
 لا يد منه ، وترك محاطة الناس إلا فيما لا يهين منه .

وكتب الحسن بن علي بن عبد العزيز رحمه الله تعالى : أما بعد ، فخطف  
 في حرمك الله ، وأحذر من حذر الله ، وأحذر من يدك لما بين يديك ، فاصد  
 من يبيت خير لنفسه . سلام

وكتب عبد بن عبد العزيز إلى الحسين يسأله أن يعظه ، فكتب إليه أما  
 بعد ، فإن أهول لأعصم والأمور انصرفت لبيت ، ولا بدت من مشاهدة  
 ذلك إما بالحدة وإما بالمعطب . وأعلم أن من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل  
 عه حسر . ومن نظر في المواقب نجح ، ومن أطاق هواه ضل ، ومن حرم  
 غم ، ومن خاف أمن ، ومن آمن اعتبر ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ،  
 ومن فهم علم . فإذا زلت فارجع ، وإذا دمت فافزع وإذا جهلت فاسأل ،  
 وإذا قصبت فأمسك .

وكتب مصرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله : أما بعد ، فإن  
 الدنيا در عقوبة ، وه جمع من لا عقل له ، وما يقتر من لا علم عنده .  
 فكيف يباشر مؤمن كانه ويخرجه عنه على شدة لدواءه يحرف من  
 عنه الله

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عبد بن أرباب : أما بعد ،  
 فإن الدنيا عبوة أولياء الله ، وعدوة أعداء الله . فاما أوليائه فمعهم .  
 وأما أعداؤه فمغرمهم .

وكتب أيضاً إلى بعض عماله أما بعد ، فقد أمكنك القدرة من ظلم  
العباد ، فإذا همت بظلم أحد فادكر قدرة الله عليك وأنعم أن الله عز وجل  
أخذ المظالمين من الظالمين والسلا

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ، ووعظ من لا يرى خصوص  
واقفته . فهذه للوعظ مثل الأعدية التي يشترك الكفة في الاعتدال بها . ولآخر  
فقد مثل هؤلاء الوعاظ انقسم باب الأبدع . وشب الناس ، واستشرى  
المسد ، وبنى الخلق بوعده بجرهوب . سعدى . ويسدون أناء ، ويكفون  
ذكر ما ليس في سعة عندهم ، وينسبون إلى غيرهم . فسقط عن قلوب  
العامة وفكرهم ، ولم يكر كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب .  
القاتل متصلف ، واستمع متكلف ، وكل واحد منهما مُلدبر ومتحلف . فإذا  
كان طلب الطبيب أو علاج مرضى ، وطلب العلماء أول علاج العاصية .  
فهذا أحد أركان العلاج وأصوله



الفصل الثالث

## الركن الثاني في العلاج الصبر

الأصل الثاني : الصبر ووجه العلاج به أن المريض إما يطول مرضه لتناوله  
من بصره . وإما يتدنس ذلك إما لعفته من مصرفته ، وإما لشده عليه شهوته .  
فهذه سببان مما ذكرناه هو علاج الصبر ، فمضى علاج الشهوة وصرف  
علاجها قد ذكره في كتاب رياضة الصبر

وخاصة أن المريض إذا اشتدت به دته لمكول مضى ، فصرفه أن  
يشعر عظم ضرره ، ثم يحجب ذلك عن عينه فلا يحصره ، ثم يتسلى عنه  
بشرب منه في صبره ولا يكثر ضرره . ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي  
يسببه في تركه . فلا بد من كل حال من مرارة الصبر . فكذلك يحتاج الشهوة  
في المنعص كالشب مثلاً بعد غسته الشدة ، فصرف لا يقدر على حنق عينه ،  
ولا حنق منه ، أو حنق جورجه في سعي وراء شهوة فيسعى أن يشعر  
ضرره فتيه ، بأن يستقرى الشقوق التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة  
رسوله ﷺ . فإذا اشتد خوفه لم يعد من الأسباب المهيجة لشهوته . وبمهيج  
الشهوة من خارج ، هو حضور المشتى بالنظر إليه ، وعلاجه اهرب والعلة  
ومن داخل تناول لذائذ الأطعمة ، وعلاجه الجوع والصوم النديم . وكل ذلك  
لا يتم إلا بصبر ، ولا يصبر إلا عن خوف ، ولا يخاف إلا من عزم ، ولا يعلم  
إلا عن بصيرة وتفكير ، أو عن سماع وتقليد . فأول الأمر حضور محاسن  
الذكر ، ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل ، مصروف إلى  
السماع ، ثم التمعك فيه تمام الفهم وبعث من تمامه لا بحالة حووه وإذا قوى  
الخوف تيسر بمعونه الصبر ، وانبعث للنواحي لطلب العلاج ، وتوفيق الله



#### الفصل الرابع

### أسباب الوقوع في الذنوب

أحدها : أن تعذب المرء من بين حصر وانفس حسب ماثره  
بالحصر ماثره بالمرء حسب ماثره بالمرء

الثاني : أن الشهوات الباطنة غير الذنوب لذاتها تاجرة ، وهي في الحال  
أحدة بعين وقد قوى ذلك وأبـ عنها سبب لأعياد والإلف ، وعبدة  
ضيعة حمسه ، وروى عن محمد بن حنفية (رحمته الله) عن بعض  
قربى تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ أَمْحِلَ وَتُحِبُّونَ الْأَحْرَقَ ﴾ <sup>١</sup> وقد عر  
وجل ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ <sup>٢</sup> ، وقد عر عن شدة الأمر فـ  
رسول الله ﷺ : « حُمِّتِ النَّفْسُ بِالْمَكَارِهِ وَحُمِّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »  
وقوله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ النَّارِ فَقَالَ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :  
اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ إِلَيْهَا فَذَهَبَ . وَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا  
فَحَقَّقَهَا بِالشَّهَوَاتِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ . فَقَالَ : وَعِزَّتْكَ  
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَحِيهَا وَخَبِقَ الْحَقُّ فَقَالَ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ  
السَّلَامُ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ . فَقَالَ : وَعِزَّتْكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا  
دَخَلَهَا فَحَقَّقَهَا بِالْمَكَارِهِ . ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ إِلَيْهَا . فَقَالَ :  
وَعِزَّتْكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ . بِدَأْ كَوْنِ الشَّهَوَاتِ مَرْتَفَعَةٍ فِي

(١٩١) القيامة : ٢٠

(١٩٥) الأعراف : ١٦

(١٩٦) حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام

(١٩٧) حديث إن الله - عز وجل - قال : « اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَظَرَّ » - حديث جده - عليه السلام - حديث جده - عليه السلام

وصحبه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

ونفسه من وراء ذلك . فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء ، واستشعر  
الخوف فائق ، وانتظر الثواب ، وصدق بالحسن ، فسيبسه الله تعالى  
لليرى . وأما من يخل واستغنى ، وكذب بالحسن ، فسيبسه الله لليرى ،  
فلا يرى عنه ما شغل به من ملل الدنيا مهاسن ويردى . وما على الأنبياء  
إلا شرح طرق الهدى ، وإف الله الآخرة والأولى .

فإن قلت : فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان ، لأن ترك الذنب لا يمكن إلا  
بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الحرف ، والخوف لا يكون إلا بالعلم ،  
والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتسليم بعظم ضرر  
الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان ، فكان من أصر على الذنب لم  
يصر عليه إلا لأنه غير مؤمن ، فاعلم أن هنا لا يكون لفقد الإيمان ، بل يكون  
لضعف الإيمان . إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى ،  
وسبب العقاب في الآخرة . ولكن سبب وقوع في الذنب أمور



١٥٢



## الفصل الخامس

### علاج الأسباب الموجبة للإصرار

#### الفكر الحقيقي دواء الوقوع في المعاصي

فإن قلت : فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الفكر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب ، أن كل ما هو آت آت ، وأن غداً للناظرين قريب ، وأن الموت قرب إلى كل أحد من شركائ نعله ، فما يدريه لعل الساعة قريب . والمتأخر إذ يقع صار عاجزاً . ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لحرق أمر في الاستقبال . إذ يركب البحار ، وينافس الأسفار ، لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال . بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت ، وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه ، مع أن الموت ألد لحظة إذا لم يخفف ما بعده ، ومفارقة الدنيا لا بد منها . فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً ، فينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول فمي لم تقم معجزة على طبه ، فيقول . كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي ، دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ، ولا يشهد له إلا علوم الخلق ؟ وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض ، وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ؟

وبهذا التفكير بعينه يعالج المدة الغالبة عليه . ويكلف نفسه تركها ، ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام المسهر وهي أيام قلائل ، فكيف أقدر على ذلك أهد الآباد ؟ وإذا كنت لا أطيق ثم الصبر ، فكيف أطيق ألم النار ؟ وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتقصصها وامترج صفوها

الحال ، ويكون العقاب متأخر إلى المال ، ميبان ظاهراً في الاسترسال . مع حصول أصل الإيمان . فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه ، مكذباً بأصل الطب ، ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه . ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه عاجز ، فهيون عليه الألم المنتظر .

الثالث . أنه ما من ملذب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكفير السيئات بالحسنات . وقد وعد بأن ذلك يجزئه . إلا أن طول الأمل غالب على الطباع ، فلا يزال يسوّف التوبة والتكفير . فمن حيث رجاءه التوفيق للتوبة ، ربما يقدم عليه مع الإيمان .

الرابع . أنه ما من مؤمن موقن ، إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العفوية إيماناً لا يمكن العفو عنها . فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضلي الله تعالى .

فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب ، مع بقاء أصل الإيمان . نعم قد يقدم الذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه ، وهو كونه شاكاً في صدق الرسل ، وهذا من الكفر . كالذي يحذر الطبيب عن تناول ما يضره في المرض . فإن كان المخبر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب ، فيكديه أو يشك فيه ، فلا يبال به . فهذا هو الكفر .



بكدرها . فكيف أصبح عن نعيم الآخرة ؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صباح أهل النار من التسويف ، لأن المسووف ينشئ الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلمعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم . فليت شعري هل عجز في الحال إلا لقلة الشهوة ؟ ولشهوة ليست تفارقه غداً بل تضعاف ، إذ تتأكد بالاعتیاد . فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالمادة كالتي لم يؤكددها . وعن هذا هلك المسووفون ، لأنهم يظنون الفرق بين المتأملين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق ، وما مثال المسووف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة فربما قوة لا تنقلح إلا بمشقة شديدة ، فقال : أوخرها سنة ثم أعود إليها . وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها ، وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه . فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة ، إذ عجز مع قوته عن مقاومة مصيفه . فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضيف . وأما المعنى الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى ، فعلاجه ما سبق . وهو كمن يتفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء . منتظراً من فضل الله تعالى أن يزرقه العشر على كثر في أرض غربة . فإن إمكان العشر عن الذنب مثل هذا الإمكان . وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده ، وترك ذخائره أمواله في صحن داره ، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل ، وقال : أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب ، حتى لا يتفرغ إلى داري ، أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار ، فإن الموت ممكن ، والغفلة ممكنة ، وقد حكى في الأسمار أن مثل ذلك وقع : فأننا أنتظر من فضل الله مثله . فنتظر هذا منتظر أمر ممكن ، ولكنه في غاية الحماقة والجهل ، إذ قد لا يمكن ولا يكون . وأما الخامس وهو شك فهذا كفر . وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل . وذلك بطول . ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحمد عقله فيقال له :

ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن ؟ أو تقول أعلم أنه محال ، كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة ؟ فإن

قال أعلم استحالة كذلك فهو أم لا معنوه ، وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء . وإن قال أنا شك فيه . لو أعيرك شخص واحد مجهول ، عند تركك طعامك في البيت لحظة . ولغت فيه حية ، وألقت معها فيه ، وجوزت صدقه ، فهل تأكله أو تتركه ؟ وإن كان ألد الأطعمة ؟ فيقول أتركه لا بحالة ، لأن أقول إن كذب فلا عوتني إلا هذا الطعام ، والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب ، وإن صدق فتقتل الحياة ، والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإنسانته شديدة . يقال له : يا سبحان الله ، كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم ، مع ما ظهر من المعجزات ، وصدق كافة الأولياء ، والعلماء ، والحكماء ، على جميع أساف العقلاء ، ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب ، عن صدق رجل واحد مجهول ، لعل له غرضاً فيما يقول ! فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر ، وأثبت ثواباً وعقاباً ، وإن اختلفوا في كيفيته ، فإن صدق قد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد . وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهادات هذه الدنيا القانية المكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد . بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالنفوس ، وفقرنا ظاهراً يلتقط في كل ألف سنة حبة واحدة منها . فليت النيرة ، ولم ينص أبد الآباد شيئاً . فكيف يفتر رأي الغافل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً ، لأجل سعادة تبقى أبد الآباد ! ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التوحي المعري :

قال المنجم والطبيب كلامهما لا تبحث الأموات قلت إليكما  
إن صح قولكما فليست بخامر أو صح قولی فاخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور ، وكان شاكاً : إن صح ما قلت قد تخلصنا جميعاً ، وإلا فقد تخلصت وملكك . أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال . فإن قلت . هذه الأمور جلية ، ولكنها ليست شال إلا بالتفكر ، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته ، وما علاج القلوب لرجعها إلى الفكر ، لا سيما من آمن بأصل

الشرع وتفصيله . فاعلم أن المانع من الفكر أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها ، وشدائدها ، وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم . وهذا فكر للداغ مؤلم للقلب ، فينزع القلب عنه ، ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة .

والثاني : أن الفكر شغل في الحال مانع من اللذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ، ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت . فصار عقله مسخراً لشهوته ، فهو مشغول بتدبير حيلته ، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة ؟ والفكر يمنعه من ذلك . وأما علاج هذين المانعين ، فهو أن يقول لنفسه : ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده ، تألماً بذكره ، مع استحقاق ثم مواقفته . فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع ، وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ، ومتألم به ! .

وأما الثاني : وهو كون الفكر مفوتاً للذات الدنيا ، فهو أن يتحقق أن قوات لذات الآخرة أشد وأعظم . فيها لا آخر لها ، ولا كدورة فيها . ولذات الدنيا سريعة الدور ، وهي مشوبة بالمكدرات . فما فيها لذة صانية عن كدر . وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى ، واستراحة بمعرفته ، وطاعته ، وطول الأنس به ! ولو لم يكن للطمع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلوة الطاعة ، وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً . فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ! نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ، ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة ، وقد صار الخير ديدناً ، كما كان الشر ديدناً ، فالنفس قائلة ما عودتها تعود ، والخير عادة ، والشر لاجبة .

فإذا هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيح لقوة الصبر عن اللذات . ومهيح هذه الأفكار وعظ الوعاظ ، وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر ، فيصير الفكر موافقاً للطبع ، فيميل القلب إليه . ويعبر

عن السبب الذي أوقع الموافقة بين طبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق . إذ التوفيق هو التوفيق بين دة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة . وقد روى في حديث ضعيف أنه قام عمار بن ياسر فقال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه : يا أمير المؤمنين ، أخبرنا عن الكفر على ماذا بُني فقال علي رضي الله عنه : بني على أربع دعائم . على الحياء ، والعسى والعقلاء ، والشك . فمن جفا أحد الحق ، وجهر بالباطل ومقت العلماء . ومن عسى نسي الذكر . ومن عقل جاد عن الرشيد . ومن شك غرته الأمان . فأخذته الحسرة والندامة . . . من الله ما لم يكن يحسب .

فما ذكرناه بيان لبعض آفات الفكر عن التفكير وهذا القدر في التوبة كاف .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..





## قهرس التوبة

صفحة

الموضوع

٥	كلمة الخقق
٩	دراسة التحقيق :
	[ هذا الكتاب - المؤلف - عصره - مؤلفاته - حجة الإسلام الغزالي مؤلفاً ومجدهاً - منهج التحقيق ]
٢١	مقدمة المؤلف
٢٣	تمهيد
٢٥	الركن الأول : في نفس التوبة
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
٣٥	الركن الثاني : فيما حصة التوبة (وهي النوب صغارها وكبارها)
	[ ويتضمن أربعة فصول ]
	الركن الثالث : في تمام التوبة ، وشروطها ، ودوامها إلى آخر
٩٩	العمر
	[ ويتضمن خمسة فصول ]
١٣٧	الركن الرابع : في دولة التوبة ، وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار .
	[ ويتضمن خمسة فصول ]

وبحمد الله الذي نعمت بهم الصالحات

AL-MUS TAFI.COM